عالم
(البرزخ)
هورقليا
عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي
تأليف
الشيخ ابراهيم القديم
تقديم
الدكتور حسن الشيخ

عالم هورقليا (البرزخ)

عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ

الباقيات الصالحات
للطباعة والنشر

اسم الكتاب: عالم هورقليا (البرزخ) عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

المؤلف: الشيخ إبراهيم القديم

المقدم: الدكتور حسن الشيخ

مصمم الغلاف: السيد هيثم يوسف

الناشر: دار الباقيات الصالحات للطباعة والنشر ـ بيروت ـ بئر العبد

للتواصل: DarAlBaqyatAlSalihat@gmail.com

عالم هورقليا (البرزخ)

عند الشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الأحسائي

تأليف

الشيخ إبراهيم القديم

تقديم

الدكتور حسن الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى السبعين ألـف ألــف من سكان جابلقا وجابرسا في الاقليم الثامن

إلى أرواح الأجسام المؤمنة التي انتقلت إلى جنان أرض عالم هورقليا

وإلى تلك التي ما زالت تسير في نهر الزمان الراكد

وإلى الحجة على كل تلك العوالم وما فيها

أهدي هذا الكتاب

تقديم الدكتور حسن الشيخ

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين

(عالم هورقليا)، كتاب حكمي، وإيماني، ونوراني بامتياز.

في هذا الكتاب نجد حبلاً وثيقاً بين الكاتب والمكتوب عنه.. حبل مجدول بالحب والمعرفة والإيمان.

وعالم هورقليا ليس سوى عالم البرزخ؛ ولكن البعض قد استوحش هذه اللفظة ظناً منهم أن استخدامها يعني نفس استخدام الفلاسفة السابقين من أمثال ابن سينا، والفارابي، والسهروردي؛ بل وقبلهم من فلاسفة اليونان من قبيل أفلاطون وأرسطو.

ومعنى البرزخ: الحاجز بين شيئين.

وهو العالم المتوسط بين الموت والقيامة، يُنعم فيه الميت أو يعذب حتى تقوم الساعة؛ كما تشير العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾[1].

(١) سورة المؤمنون: (١٠٠).

والآية كما يؤكد معظم المفسرين أنها ظاهرة الدلالة على أن هناك حياة متوسطة أو فاصلة بين حياة الناس الدنيوية وحياتهم بعد البعث ؛ أي: عالم وسطي بين عالمين: الدنيا والآخرة.

وجاء عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «البرزخ، القبر، وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة» ؛ أي: إن القبر أحد مصاديق عالم البرزخ.

إلا أن الكتاب الذي بين أيدينا، يطرح لنا عالمين أيضاً من عوالم البرزخ من خلال فكر شيخنا الأوحد "رضوان الله عليه".

الطريق الأول للإنتقال إلى عالم هورقليا هو (الرؤى).

والطريق الثاني إلى ذلك العالم هو (تصفية النفس).

أما الطريق الثالث إلى عالم هورقليا فهو (الموت) الذي أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام.

وقلنا (عالم هورقليا)، هو كتاب حكمي، وإيماني، ونوراني بإمتياز.

فلا تخفى حكمة الكتاب، فهذا العالم (هورقليا) تناوله الفلاسفة منذ أقدم العصور، وشيخنا الأوحد هو شيخ المتألهين الذين تكلموا عن حكمة آل البيت عليهم السلام.

وأما كونه نورانياً ؛ لكونه يسلط الضوء على هذا العالم من منظور يشع بنور الحكمة.

وإيماني ؛ لأن عوالم الموت والرؤى وتصفية النفس من عوالم الغيب، وهذه العوالم خاصة بالمسلمين دون سواهم.

وقلنا: إن هناك حبلاً وثيقاً بين الكاتب والمكتوب عنه.. حبل مجدول بالحب والمعرفة والإيمان.

ذلك لأن الكاتب هو الشيخ الفاضل الشيخ إبراهيم القديم، أحد المشايخ الأجلاء، والكتاب المدافعين عن حكمة مدرسة آل البيت عليهم السلام.

وقد كتب شيخنا الفاضل العديد من الكتب في الدفاع عن هذه المدرسة، ودحض الإفتراءات عليها، وجاهد بقلمه وخطبه لتقريب الآراء الحكمية لمدرسة آل البيت عليهم السلام، والتي قد تخفى على بعض العامة.

وأما المكتوب عنه، فهو شيخنا شيخ المتألهين زعيم مدرسة آل البيت الحكمية، الشيخ أحمد بن زين الدين الآحسائي، المعروف بالشيخ الأوحد "رضوان الله عليه".

وبهذه الرابطة بينهما يكون هذا الكتاب من أنفع وأهم الكتب الإسلامية التي كتبت بأسلوب سهل ممتنع لكافة الطبقات، من طلبة العلوم الدينية، وطلاب الجامعات.. بل وعامة القراء.

وفق الله شيخنا الفاضل الشيخ إبراهيم القديم لهذا العمل المبارك، ونفع الله به جميع المؤمنين، وجعله في ميزان أعماله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الدكتور حسن الشيخ[1]

السعودية ـ الدمام

(١) هو الدكتور حسن بن محمد الشيخ، من مواليد الهفوف، الأحساء، المملكة العربية السعودية. كاتب، وأستاذ جامعي، وعضو في العديد من الجمعيات العلمية. له العديد من الكتب الفكرية والأدبية الإسلامية المطبوعة، ومن كتبه الإسلامية: آخر الفلاسفة، فيلسوفان ثائران، محاكمة الأوحد، أول المجتهدين، الرئيس العيثان، مرجعنا أبوخمسين، ركائز الدعاء، المسألة الأخلاقية، حوار الفلاسفة.

مقدمة المؤلف

كنت وما زلت مولعاً.. بتلك المسألة الحكمية ـ الفلسفية ـ التي تشغل التفكير، وتسرق النوم من العيون، وتشعل في داخلك حرارة البحث الدؤوب عن أدق الخيوط.. فتعيش فترة من الزمن لا تشعر بمعظم ما يجري من حولك، ولا تهتم بغاية أكثر من الوصول إلى نهاية الطريق الذي تسير فيه.

وصرت أكثر ولعاً.. بتلك المسألة التي لا تكتفي بذلك فحسب، بل وتحاول التسمر أيضاً في داخلك، وإضافة شيئاً أكثر من زيادة حصيلة المعلومات الفكرية لديك!

ففي اللحظة التي تعتقد بأنك خرجت منتصراً من دهاليزها؛ تكتشف مع مرور الأيام بأنها قد خلفت في داخلك أشراقة من إشراقات الذوق العميق.

فتبدأ أشرعتك بالميل لجهة البحث الحكمي البديهي أكثر من العقلي المعقد، وتخرج نظرتك من حروف الكلمات إلى نظرة نحو خبايا الكون وأسراره، ويأخذ فؤادك بالربط بين الآيات الآفاقية والأنفسية

لقراءة الصورة الكونية الجميلة بدل من الربط بين القضايا.. فيتسابق هنا خيط السمو الروحي مع خيط السمو العقلي نحو اللانهاية!!

نعم.. نحو اللانهاية في طلب المزيد والمزيد من مسائل حكمة الشيخ أحمد الأحسائي، المعروف بالشيخ الأوحد الأحسائي.

فالمسائل الحكمية في منهج هذا الرجل ككفتا الميزان، إحداهما تسقي الشرايين فتحييها، والأخرى تجعلك عطشاً لأنك لن تجد إلا تراث أئمتك عليهم السلام.. وإذا لم تصدق فعليك أن تجرب!

وفي هذا الكتاب ـ الذي بين يديك ـ تحدثتُ عن مسألة عالم من العوالم العجيبة في الوجود، وهو عالم هورقليا (البرزخ).

الذي سطر الفلاسفة وغيرهم الكثير من الآراء فيه، وانفرد الشيخ أحمد الأحسائي برأيه الذي حل به العديد من الإشكالات المرتبطة بمسألة عملية الموت وغيرها.

وأياً كان ما يجول ويصول من حديث في هذا العالم فسوف أترك ذلك لمطاوي البحث؛ وذلك للإبتعاد عن المقدمة الطويلة المملة، وحتى لا أقتل متعة فصول هذا الكتاب.

ولكن.. كيف كتبت هذا الكتاب؟

في معظم كتبي السابقة..

كنت أهتم بأن أكون حذراً جداً في كيفية انتقاء أسلوب الكتابة الملائم فنياً وعلمياً مع الموضوع الذي أتحدث عنه، فلم أكن متسامحاً مع المصطلحات أو العبارات التي لا تخلو من الصعوبة دائماً؛ خصوصاً إذا كان الموضوع من المواضيع الفلسفية البحتة.

وبالطبع.. هذا يضعني موضع الحصانة أمام أصحاب الفن؛ ولكنه يقلقني من ناحية القطاع الأكبر من القراء الذين يحاولون الإستفادة من الموضوع أكثر من العيش في داخل دوامة الصراع بين تفكيك المصطلحات والربط بين العبارات.

فجاء هذا الكتاب بصيغة سهلة جداً، انطوى فيها طابع أسلوب الحوار مع القارئ، وتحفيزه على التفكير أكثر من تلقي المعلومات مباشرة.

وحتماً.. لم أتخلف عن التزامي العلمي والأدبي في الآن نفسه، فقد أردفت العديد من الهوامش التي نقلتُ فيها كلمات صاحب الرأي، والمصادر الهامة، وبعض التعليقات الجانبية، وغير ذلك.

الشيخ إبراهيم القديم
الأحساء
١٤٤٣/١٢/١٨هـ

الفصل الأول

مسائل محيرة في الموت

عزيزي القارئ..

ما دمت تمسك بهذا الكتاب ـ المتواضع ـ فأود في هذا الفصل لفت نظرك إلى بعض التساؤلات التي من المؤكد أنها قد راودت ذهن كل ناظر في مسألة الموت.

وحتى أتمكن من توصيل مضمون ما أريده منها ؛ دعني أتحدث إليك مباشرة..

هل توافقني الرأي في وجود الاختلاف الشاسع بين البشرية في معتقداتهم؟

بالطبع.. ستقول إن الأمر لا يحتاج إلى دقة كبيرة لملاحظة اختلاف المعتقدات بين المسلم، والكافر، والمسيحي، واليهودي، والبوذي وغيرهم.

ولكن.. هل تعلم؟

بالرغم من وجود ذلك النوع من الاختلاف إلا أن هناك بعض المسائل التي يتفق عليها ويؤمن بها جميع الأفراد.

ومنها مسألة الموت!

فهذه المسألة وإن كانت من المسائل الغيبية.. والمسائل الغيبة هي الأكثر ضراوة في الاختلاف بين البشرية.

فمثلاً..

وجود الجن والملائكة من المسائل الغيبية التي تؤمن أنت بهما، بل وقد تظن أن ذلك الإيمان من البديهيات لتضافر العديد من النصوص

الوحيانية الدلة على وجود هذه الأنواع من المخلوقات[١] ؛ ولكن هناك الكثير من الذين لا يؤمن بذلك.

ومسألة الوحي التي تعتبرها أنت حالة قدسية خاصة بالنبي الأعظم محمد ﷺ ، هناك من يعتبرها حالة نفسانية كانت تصيبه ﷺ ، فيفسرها من ناحية أيدلوجيته بأنها انفصام شخصية ، جنون![٢]

فمسألة الموت وإن كانت من المسائل الغيبة إلا أنه لا يوجد هناك من يستطيع إنكاره.

والسبب.. لأن مصداق الموت من الآيات الظاهرة التي يشاهدها الجميع في الواقع الخارجي.

فالكهرباء شيء غيبي ؛ ولكن لمصداقه تحقق في هذا المصباح المضيء ، وفي هذا الجهاز.. فتؤمن بوجوده وإن كنت لا تراه.

والهواء شيء غيبي أيضاً ، وآمنت بوجوده ـ مع أنك لا تراه ـ حينما شاهدت حاجة العديد من الأشياء إليه.

وهل شاهدت يوماً من يستطيع إنكار وجود الكهرباء والهواء؟

---

(١) كقوله تعالى : ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ . [سورة الجن : (١)]. وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾. [سورة آل عمران : (٢٤)].

(٢) افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ـ د. يحيى مراد : ص٢٠٤.

الموت هو من هذا القبيل..

شيء غيبي، ولكن الجميع آمنوا بوجوده حينما شاهدوا تحقق مصداقه في الأهل والأقرباء والأصحاب وغيرهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1].

من هنا لم تختص الدراسات والأبحاث والكتابات والخطابات ـ وغيرها ـ في هذه المسألة بفئة دون أخرى؛ بل شملت جميع البشرية. فقامت بوضعها منذ نعومة أظافرها وحتى الآن في أقصى مراتب الاهتمام والعناية.

ولما نالت هذه المسألة هذا الوسام، فلك أن تتخيل معي ما وصل إليه أمر البحث والنظر فيها:

كم يا ترى سيكون لدينا اليوم من أعداد لتلك الدراسات والأبحاث.. بل وحتى التجارب التي أجريت؟

حتماً أن الأعداد أصبحت ضخمة جداً..

مئات، آلاف، نكاد لا نبالغ حينما نقول بأنها قد بلغت مئات الآلاف اليوم.

---

(١) سورة آل عمران: (١٤٣).

ولكن.. هل تعلم أيضاً؟

أنه بالرغم من هذه الأعداد الضخمة إلا أنه مازال حتى اليوم هناك العديد من التساؤلات في مسألة الموت التي تقف أذهان كبار العلماء في حيرة أمام الإجابة عليها!

ولتتأكد من صحة ما نتحدث عنه سوف أذكر لك مسألتين من تلك المسائل.

فتعال معي لنشاهد الأمر المحير فيهما..

المسألة الأولى: عملية الموت.. هل هي انتقال من دار إلى دار، أم أنها عدم وفناء؟

إن البحث في مسألة الموت قد يكون بصورة عامة، وقد يتجه نحو جانب معين فيدور في مداره ويختص بمعطياته.

فعلى سبيل المثال لا الحصر..

مرة يتناول الباحثون في مسألة الموت جانب المعاد فقط، وهنا يحاولون التركيز على إجابات التساؤلات المختصة به، ومنها:

هذا الإنسان إذا مات ووضع في قبره وعدم..

هل يعاد مرة أخرى؟

وكيف يعاد؟

وهل إعادته تكون جسمانية فقط؟

أم روحانية فقط؟

أم أنها تكون جسمانية وروحانية؟

ومرة أخرى.. يتجه البحث في هذه المسألة نحو جانب آخر؛ كجانب عملية الموت.

فلا يتحدثون هنا عن المعاد ؛ بل عن أمر سابق عليه ، وهو الفترة الزمنية الواقعة من الموت إلى المعاد.. ويحاولون كذلك التركيز على إجابات التساؤلات الواقعة في هذا الجانب فقط ، ومنها :

هذا الإنسان إذا مات ووضع في قبره..

هل جسده يعدم وروحه تنتقل إلى عالم آخر؟

فتكون عملية الموت عبارة عن انتقال من دار إلى دار.

أم أنه يعدم كلياً ، روحاً وجسداً؟

فتكون عملية الموت عبارة عن عدم وفناء.

ومما لا شك فيه ؛ إن تعدد جوانب البحث في مسألة الموت بعثر النظرة العمومية ، وكساها وشاح الدقة والتخصصية في الجانب المراد ؛ وهذا يقودنا إلى معلومات أدق وأعمق فيها.

وقبل المضي قدماً..

عليك أن تلتف ـ عزيزي القارئ ـ إلى هذه النقطة الهامة ، وهي :

إن حديثنا في مسألة الموت ـ في هذا الكتاب ـ لن يكون في جانب المعاد ؛ بل في جانب عملية الموت.. وإن تم ذكر بعض المعلومات المتعلقة بالمعاد لاحقاً ؛ فما ذلك إلا من باب التداخل العميق بين المسألتين.

إذا فهمت إلى أين ستتجه دفة الحديث معك..

فاسمح لي أن أطرح عليك هذا التساؤل الآن:

ماذا تعتقد في مسألة عملية الموت؟

هل تعتقد بأنها انتقال من دار إلى دار، أم أنها عدم وفناء؟

فللوهلة الأولى، قد تظن أن الاختيار بينهما شيئاً بديهياً، فتركن مباشرة إلى أحدهما بناء على معطيات المعلومات المختزنة في خلفيتك الفكرية.

ولكن.. هل تصدق إن الأمر ليس بهذه السهولة!

فحينما ننظر إلى مسألة عملية الموت بعدسة الباحثين الذين أجهدوا أنفسهم فيها ستصيبنا نفس الحيرة التي أصابتهم، وحينئذٍ لن يكون الإختيار سهلاً كما قد نظن.

فالذين بحثوا في هذه المسألة انقسمت أرآئهم إلى رأيين رئيسيين.

تعال معي لنتعرف عليهما..

الرأي الأول: عملية الموت انتقال من دار إلى دار

يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن الإنسان إذا مات ووضع في القبر فإن جسمه ـ أو جسده[١] ـ يعدم، وأما روحه فتنتقل إلى عالم آخر، أطلقوا عليه بعدة مسميات من أشهرها وأكثرها رواجاً: (عالم البرزخ)، (عالم الأرواح).

فتبقى الروح في ذلك العالم تنعم أو تعذب إلى يوم القيامة، وبعد نفخة الصعق تعاد الأرواح إلى الأجساد، فيكون البعث روحانياً وجسمانياً.

وعلى هذا الرأي..

فهناك حياة برزخية يعيشها الإنسان بعد حياته الدنيا؛ إما أن يتخللها النعيم أو العذاب.

وقد قدم أصحاب هذا الرأي عدداً كبيراً من الأدلة الشرعية التي تؤيد ما ذهبوا إليه، ومنها:

---

(١) الجسم والجسد مصطلحان يهتم بمعناهما الدقيق في مسألة المعاد، أما في هذه المسألة فلا مشاحة في إطلاق أياً منهما؛ ما دام المعنى يراد به: اضمحلال أو انعدام البنية الجسمانية للإنسان.

قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون﴾[١]، فيفيد ظاهر هذه الآية بوجود برزخ بين الموت ويوم البعث.

وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون﴾[٢]، أما هذه الآية فيفيد ظاهرها بوجود الحياة بعد الموت وقبل يوم القيامة.

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس إنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء، لكنكم من دار إلى دار تنتقلون»[٣]، يفيد في ظاهره أن عملية الموت انتقال من دار إلى دار، وليست عدم وفناء.

(١) سورة المؤمنون: (١٠٠).

(٢) سورة آل عمران: (١٦٩).

(٣) الإرشاد ـ الشيخ المفيد: ج١ ص٢٣٨.

الرأي الثاني: عملية الموت عدم وفناء

أما أصحاب هذا الرأي فذهبوا إلى أن الإنسان إذا مات ووضع في القبر فإنه يعدم كلياً، روحاً وجسداً.. وفي يوم القيامة تعاد الأرواح والأجساد، فيكون البعث روحانياً وجسمانياً.

وعلى هذا الرأي..

فليس هناك أي حياة برزخية، أو نعيم أو عذاب بعد هذه الحياة وقبل يوم القيامة.

وهذا اختلاف جوهري بينهما ـ بين أصحاب الرأي الثاني والأول ـ نشأ من اختلافهما في القضية الكبرى، وهي تفسير عملية الموت.

وقد قدم كذلك أصحاب هذا الرأي الأدلة التي تؤيد ما ذهبوا إليه، ومنها:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾[1].

فهذه الآيات تتحدث عن المراحل التي يمر بها الإنسان..

---

(١) سورة المؤمنون: (١٤ـ١٥ـ١٦).

فتبين الآية الأولى مراحل تخلقه في عالم الأرحام، ثم مرحلة خروجه إلى عالم الدنيا، وتأتي بعد ذلك الآية التي تبين نهاية سفره في عالم الدنيا بمرحلة الموت؛ أما الآية الأخيرة فتصرح بأن ما بعد الموت تأتي مرحلة البعث!

فحرف العطف (ثم) الذي جاء في بداية كل مرحلة ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ.. ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ..۞ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ۞ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ـ يفيد الترتيب، ووقوع الثاني بعد الأول؛ فتقول: دخل محمد ثم علي، فليس بينهما شيئاً آخر.

فما يستفاد من ظاهر هذه الآية:

ليس بين الموت والبعث شيئاً آخر؛ كالحياة البرزخية التي يتحدث عنها أصحاب الرأي الأول.

وقول الرسول الأعظم محمد ﷺ: «والذي بعثني بالحق لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون»[1]، يفيد كذلك في ظاهره نفس دلالة الآية السابقة.. فما بعد الموت إلا البعث.

ولو أتيح لك الوقت..

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٧ ص٤٧ ب٢ بقية أبواب المعاد وما يتبعه ويتعلق به ح٢٩.

فبإمكانك البحث عن مزيد من الأدلة الشرعية في هذا الخصوص، وسوف تتأكد بنفسك عندئذٍ بوجود العديد من النصوص التي يظهر من منطوقها أن عملية الموت تارة ما هي إلا انتقال من دار إلى دار، وتارة أخرى عدم وفناء.

وهذا التعارض بين الأدلة الشرعية[1] أحد الأمور التي جعلت النار مشتعلة بين أصحاب كلا الرأيين في هذه المسألة حتى اليوم.. فهم بين مثبت لحياة برزخية بعد الموت، وبين منكر لها.

وهناك حجج أخرى بينهما..

ولكن لم يكن بمقدورها رفع لثام الخلاف بل زادته صعوبة، وغطت مسألة عملية الموت بطبقة أخرى من طبقات الحيرة؛ لأنها دارت في ظرف المجادلة (الأدلة العقلية).

فما هي الحجج العقلية التي قدمها أصحاب كلا الرأيين للآخر؟

دعنا نبدأ أولاً بالحجة العقلية التي قدمها الذين قالوا بأن عملية الموت انتقال من دار إلى دار.

(١) التعارض بين الأدلة الشرعية هو: تقابل الدليلين على وجه الممانعة.

الحجة العقلية: عملية الموت.. انتقال من دار إلى دار

وجه أصحاب هذا الرأي افتراضاً جدلياً للقائلين بأن عملية الموت عدم وفناء.. كالتالي:

لو سلمنا جدلاً برأيكم..

ففسروا لنا: وقائع الإتصال التي تحدث بين الأحياء والأموات، والأموات والأحياء؟

سواء جاء ذلك في عالم اليقظة، أو في عالم الرؤى والأحلام كما يحدث مع الكثير منا عندما يلتقي بأحد أقربائه من المتوفين في منامه.

فهل ذلك حقيقة أم خيال؟

فالمعطيات العديدة تدل على حقيقة تلك الوقائع.

ومنها: قول الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[1].

وكذلك ما أكدته الدراسات العلمية الحديثة في وجود حقيقة الإتصال بين الأحياء والأموات.. وتم إثباته بالطرق المختلفة.

وليس هذا فقط..

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٨ ص٢٣٤ ب٤٥/في رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصيائه عليهم السلام.. ح١.

لو كان الأمر خيالاً لقادنا ذلك إلى نسف جزء كبير من العلوم الهامة عند البشرية ؛ بل عند المسلمين خصوصاً، وهو علم تفسير الأحلام.

فليس كل ما جاء في طيات هذا العلم قائم على الرؤى الخاصة بالإنسان وحده ؛ فهناك عدد لا بأس به من التفسيرات المبنية على لقائه بالأموات في المنام.

فلو كان الإنسان يعدم كلياً بعد الموت..

فكيف نفسر تلك الوقائع التي دل الشرع ـ وحتى الدراسات العلمية ـ على حقيقتها ووجودها، حتى أضحت من قبيل المسلمات عند الكثيرين؟!

هذه ببساطة.. الحجة العلقية التي قدموها لخصومهم.

ولكن..

ماذا تتوقع من أصحاب الرأي الثاني الذين قالوا بأن عملية الموت عدم وفناء؟

هل استطاعوا الإجابة على هذه الحجة العقلية؟

بالطبع.. لقد وقفوا عاجزين أمام أدلة وحجج أصحاب هذا الرأي.

فمن منا يستطيع إنكار وقائع الإتصال تلك؟

فلعلك أحد الذين التقى بأحد أقربائه من المتوفين في عالم الأحلام.. هل حدث معك ذلك سابقاً؟

وكذلك من منا يستطيع نفي ذلك الجزء الكبير من علم تفسير الأحلام الخاص بتعبيرات اللقاء مع الموتى؟

تبدو حجتهم قوية.. أليس كذلك؟

لكن أصحاب الرأي الثاني وجهوا إليهم حجة عقلية لا تقل في قوتها عن حجة خصمهم.

فما هي تلك الحجية العقلية؟

الحجة العقلية: عملية الموت.. عدم وفناء

يعتبر الرد بنفس الأسلوب في المجادلات من أقوى كيفيات البناء الجدلي ؛ كما يحدث بين الشعراء حينما يقوم أحدهم بالرد على الأخر بنفس وزن وقافية الأبيات.

وهذا ما فعله أصحاب هذا الرأي..

فقد وجهوا حجتهم العقلية بنفس أسلوب حجة خصمهم (الذين قالوا إن عملية الموت انتقال من دار إلى دار).. كالتالي :

لو سلمنا جدلاً برأيكم..

ففسروا لنا : كيف يمكن للروح أن تنتقل وتبقى في عالم البرزخ من دون جسم؟

وهناك قاعدة متفق عليها عند الجميع وهي :

حاجة الروح إلى جسم لتنتقل أو تبقى في عوالم الوجود المقيد، ومنها عالم البرزخ.[1]

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي : (وأن الأرواح لا يمكن مجازاتها إلا بكونها في الأجساد).[رسالة في جواب الشيخ حسين ابن السيد عبدالقاهر "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي : ج٨ ص٣٤٢].

ففكرة وجود عالم بعد الموت تكون فيه الأرواح مجردة (أي: من دون جسم) ؛ يناقض تلك القاعدة الكلية التي يتفق عليها الجميع.. ومنهم أنتم!

فإما أن ننكر صحة تلك القاعدة المسلم بها؟

أو ننكر صحة وجود عالم بعد الموت تكون فيه الأرواح من دون جسم؟

وليس هذا فقط..

فلو سلمنا أن الروح تنتقل من دون جسم إلى ذلك العالم، وتبقى هناك إلى يوم القيامة ؛ فهذا يناقض ـ أيضاً ـ قولكم بالنعيم والعذاب الروحاني والجمساني في البرزخ وفي يوم القيامة أيضاً!

فأما في البرزخ..

فإنكم تستدلون مرة على وجود عالم البرزخ بالنصوص التي وردت في نعيم وعذاب القبر والبرزخ، وتقولون أن هناك نعيماً وعذاباً روحانياً وجسمانياً ينتظر الإنسان بعد الموت وقبل يوم القيامة ؛ فهناك عالم برزخي.

ومرة أخرى.. تقولون أن الأرواح تنتقل إلى ذلك العالم بدون جسم ؛ فتطلقون عليه بـ (عالم الأرواح).

فها أنتم.. مرة تثبتون جسماً في النعيم والعذاب البرزخي لإثبات عالم البرزخ، ثم تنفونه في تفسير انتقال الروح وبقاءها في ذلك العالم مرة أخرى!

وأما في يوم القيامة..

فعالم البرزخ ـ كما يفهم من كلماتكم وتذهبون إليه ـ ما هو إلا مقدمة ليوم القيامة.

وعلى ذلك.. فنوع النعيم والعذاب الموجود فيه سيكون موجوداً هناك؛ ولكن بصورة أوسع لأن جنان ونيران البرزخ ما هي إلا حظائر للجنان والنيران الأصلية في يوم القيامة.

فإن كان النعيم والعذاب فيه روحانياً سيكون كذلك في يوم القيامة، وإن كان روحانياً وجسمانياً فهو أيضاً كذلك في يوم القيامة.. أليس الأمر هكذا؟

فلا يمكن أن يكون هناك نعيماً وعذاباً روحانياً فقط في البرزخ، وروحانياً وجسمانياً في يوم القيامة.

فإن قلتم بأن النعيم والعذاب روحاني وجسماني في يوم القيامة؛ فثبتوا لنا أي الأجسام تنعم وتعذب في البرزخ!

وإن قلتم بأن النعيم والعذاب روحاني فقط في البرزخ ؛ فسوف تنكرون الجسماني منه في يوم القيامة!

فجميع هذه الإشكالات تعود إلى إشكالنا الأول، وهو إثبات كيفية انتقال الروح وبقائها في عالم البرزخ من دون جسم.

فما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ في حجة أصحاب الرأي الثاني؟

لقد قلت لك سابقاً بأنها لا تقل في قوتها عن حجة خصمهم.. فإن كانت تلك أقوى من الناحية البديهية، فهذه تمتاز بدرجة من القوة من الناحية الفلسفية.

طبعاً..

لم يقف تحاذف الإشكالات على أصحاب الرأي الأول (الذين قالوا: إن عملية الموت انتقال من دار إلى دار) عند هذا الحد، فهناك طرف آخر وقف أمام رأيهم، غير الخصم الذي واجهوه من الفلاسفة.

فمن هم هؤلاء؟

رأي المفكرين والمثقفين في مسألة عملية الموت

لقد كانت مسألة عملية الموت ـ وما فيها من الآراء ـ تدار داخل حقل الفلسفة، وتختص أبحاثها بالمهتمين بهذا النوع من الفن؛ كالفلاسفة والعلماء وغيرهم.

ولكن..

كما هو حال الكثير من المسائل الفلسفية.. تسربت تلك المسألة إلى الخارج فتلقفها عدد كبير من رواد الفكر.

فالرأي السائد في الوسط العقائدي، والأكثر تداولاً وانتشاراً في الكتابات والخطابات الدينية وغير الدينية، هو الذي يقول بأن عملية الموت انتقال من دار إلى دار؛ فأضحى عرضة للمنظرين منهم، والفريسة الطرية المطروحة فوق موائدهم.

فقاموا بتمزيقه بمبضع الإشكالات حتى أضحوا فئة من الواجب النظر إلى رأيها في هذه المسألة، واعتبارهم طرفاً آخر من أطرافها.

فمع غض النظر عن اختلاف الرؤية بينهم من فلسفية إلى ثقافية، وكذلك التوجهات والنوايا التي دفعتهم لفتح باب التنظير فيها؛ فقد

وجه الكثير من المفكرين والمثقفين ـ بل وحتى بعض عوام الناس ـ بعض الإشكالات المعتبرة بحثياً إلى أصحاب الرأي الأول، ومنها:

١ـ إذا كانت الأرواح تنتقل إلى عالم البرزخ بعد الموت، ويمكنها أن تأتي إلى عالم الدنيا لزيارة قبورها وأهل بيتها.. فأين يقع هذا العالم البرزخي في دائرة الوجود؟

فإذا تمكنا من تحديد موقعه فقد نستطيع إيجاد طريقة ما للتواصل مع الموجودين هناك، أو الوصول إلى ذلك العالم ومشاهدة طبيعته وأحواله قبل الموت!

٢ـ ما هي خصائص عالم البرزخ؟

فالميت في أيام الجمع والأعياد ـ مثلاً ـ يأتي لزيارة قبره ثم يذهب إلى أرض النجف؛ وهذان المكانان على سطح عالمنا، وليسا في ذلك العالم، فهو يقطع مسافة واقعة في حدود محيط زماني ومكاني.

فكيف يمكنه قطع تلك المسافة الطويلة بينهما في طرفة عين، ولا يمكنني أنا فعل ذلك؟

فلابد أن تكون هناك خصائص خاصة لذلك العالم أكسبت الميت تلك القدرة ـ وغيرها ـ!!

٣ـ إذا كان الكل ينتقل إلى ذلك العالم بعد الموت فيبقى هناك إلى يوم القيامة ؛ أي : إن حال الحياة خلود في ذلك العالم.

فكم هي مساحة عالم البرزخ؟

فلو قمنا بحساب عدد الأموات الذين انتقلوا إلى ذلك العالم بعد الموت منذ بداية تواجد البشرية على سطح الكرة الأرضية وحتى اليوم ؛ فسوف نصل إلى رقم لا يمكن تخيله!

فأي مكان هذا الذي يستطيع احتواء كل أعداد أولئك الأموات؟!

٤ـ وقائع الاتصال بين الأحياء والأموات ـ والعكس ـ في الرؤى والأحلام أحد أهم الحجج التي تستندون عليها في إثبات وجود ذلك العالم.

ولكن..

لماذا حينما نلتقي بهم في عالم الأحلام لا نراهم بطبيعة العالم الذي هم فيه، وإنما نراهم بطبيعة عالم الدنيا؟

لديهم مساكن ومطاعم ومشارب لها نفس الطبيعة الموجودة في عالمنا ؛ بل وقد نراهم يعيشون في نفس منازلهم وغرفهم الشخصية

الموجودة هنا، ويستخدمون نفس ممتلكاتهم، ويأكلون ويشربون في نفس أوانيهم...!

فلماذا لا نراهم بحقيقة طبيعة النعيم أو العذاب هناك؟

لماذا لا نرى تلك القصور العظيمة، والأنهار الطويلة، والملذات والشهوات.. وسلاسل النار الضخمة، والحمم التي تصلي الجلود، والوحوش المخيفة كالثعابين.. التي تذكرونها في خطاباتكم؟

حسناً..

ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ في إشكالات هؤلاء؟

قد لا تعني لك شيئاً هاماً لأنك تسلم بما ذكروه من الناحية الغيبية الشرعية؛ ولكن بالنسبة إليهم تعتبر مباحث عظيمة يلتذون بالوصول إلى حقيقتها وصحتها.. ويحتاجون إلى أدلة تقنعهم بذلك.

والآن.. بعدما اتضحت لك الآراء في مسألة عملية الموت.

دعني أعيد عليك هذا السؤال مرة أخرى:

هل تعتقد أن عملية الموت انتقال من دار إلى دار، أم عدم وفناء؟

أدعك تفكر فيه قليلاً.. قبل أن ننتقل إلى المسألة الثانية التي حيرت أذهان العلماء في مسألة الموت.. فهي أكثر دهشة وإثارة!

المسألة الثانية: غيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

حينما تسأل الذين يعتقدون بأمر وجود الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف هذا السؤال:

أين يوجد عجل الله تعالى فرجه الشريف الآن؟

سوف يجيب الجميع بهذه الإجابة:

بأنه غائب!

ومعظم القراءات الدينية فسرت غيبته بالتالي:

أنه موجود بيننا في هذا العالم، يمشي، يأكل... ولكننا لا نراه، لا نعرفه[1]، وهو يرانا ويعرفنا.

---

(١) اختلف الآراء في هذه المسألة: فمنهم من قال لا نراه، فلا يمكن اللقاء به.. ومنهم من قال نراه ولكن لا نعرفه، فيمكن اللقاء به.. فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام إنه قال: «يَفقِدُ الناسُ إمامَهُم فيشهدُ الموسِم فيراهم ولا يَرَوْنَهُ». [الغيبة ـ الشيخ الطوسي: ج١ ص١٨٥ ح١١٩]. وروي عن محمد بن عثمان العمري قال: «والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة، فيرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٢ ص١٥٢ ب ٢٣/من ادعى الرؤية في الغيبة الكبرى وأنه يشهد ويرى ح٤].

فهل توافقني الرأي..

في أن هذا ـ باختصار ـ ما ستجده من إجابة عامة، وترجمة بسيطة لتفسير معنى غيبته في الوسط الفكري العام لدى الناس بالجملة؟

ولكن.. أذهان بعض العلماء والمفكرين وغيرهم لم تكتفي بذلك؛ بل تناولت هذه المسألة ببعد أعمق، وانشغلت بأدق الأمور فيها؛ لأنها من المسائل الحيوية التي يعيش الجميع في داخل حدثها.

فأدى ذلك إلى وقوفهم أمام بعض التساؤلات الصعبة والمحيرة في الوقت نفسه، ومنها:

إذا كان الإمام الحجة المنتظر ﷺ موجوداً معنا على هذه الأرض، ويعيش في نفس الطبيعة الزمانية والمكانية التي نعيش فيها.. فكيف يمكن أن يضل حياً كل هذه الفترة، والأعمار تنصرم بالموت في أوقات أقل بكثير من عمره المعروف تاريخياً؟[1]

فكر معي ـ عزيزي القارئ ـ في الأمر قليلاً..

وأياً ما كانت الإجابة التي تدور في داخلك الآن.

فعليك أن تعلم:

---

(١) ولد الإمام المهدي ﷺ في سنة (٢٥٥ هـ)، ونحن في سنة (١٤٤٣هـ) ـ وقت كتابة هذا الكتاب الذي بين يديك ـ، فيكون عمره الشريف تقريباً ـ من دون حساب الأيام والأشهر ـ: (١١٨٨هـ) سنة!

إن هؤلاء الذين قدموا هذا التساؤل ـ وغيره ـ في هذه المسألة قد قطعوا شوطاً كبيراً في البحث ؛ فلا تظن بأنهم لم يفكروا فيما تفكر فيه الآن، أو لم يبحثوا في سطور الكتب للظفر بما يريح أذهانهم.

فالبعض منهم قضى سنوات في ذلك، والبعض الآخر قدم الأبحاث والكتابات المطولة التي تنبئ عن الجهد الحثيث في رغبة الوصول إلى الإجابات المقنعة.

أنا أقول لك هذا الأمر ليس تأييداً لمسألتهم أو الوقف في صفهم ؛ وإنما لمعرفة مقام من قدم هذه المسألة، ولإنصافه حق الإنصاف في أثناء حديثنا.[1]

ويبدو أن هؤلاء وجدوا بعض الإجابات في طريق بحثهم ؛ ولكن لم يرتضوها كحل لأن أعينهم كانت تنظر إلى المسألة من زاويا أخرى، وتربطها بأمور تتعلق بها من قريب أو بعيد.

وسوف أذكر لك اثنتين من هذه الإجابات، وأبين سبب امتناعهم أو رفضهم لها.

---

(١) هناك مخلوقات لهم أعمار أطول بكثير من عمره ﷺ، ولا نجد من يناقش ذلك ؛ كطول أعمار الملائكة والجن، وطول عمر إبليس (لعنه الله)، وطول عمر الخضر عليه السلام الذين بقي حيّاً من عهد النبي موسى عليه السلام إلى يومنا هذا.. وبغض النظر عن نوايا المنظرين في هذه المسألة فنحن نبين تصورهم فيها، ونجاري ما دار فيها من الأمر لا غير.

الإجابة الأولى: طول أعمار الأنبياء عليهم السلام

إن أمر بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه كل هذه المدة ممكن ولا شك فيه ؛ لوجود نماذج كثيرة من الذين عاشوا قروناً طويلة كالأنبياء عليهم السلام.

رفضوا هذه الإجابة!

بمدعى اختلاف الطبيعة الزمانية والمكانية بيننا وبينهم!

فالأنبياء عليهم السلام كانوا يعيشون في بداية الزمان، وحركة الفلك آنذاك لم تكن في تسارع كما هو معهود الآن ؛ فطالت بهم الأعمار كنتيجة حتمية لذلك.

بالإضافة إلى ظروف الطبيعة المكانية التي كانوا يتمتعون بها، وتختلف حتماً عن ظروف طبيعتنا الحالية.

بل أن هذا الأمر لم يكن حكراً على الأنبياء عليهم السلام وحدهم، فلو رجعنا إلى تاريخ الحقب الماضية فسوف نكتشف أن جميع المخلوقات كانت تعيش أعماراً طويلة في بداية الزمان.

وتأثير الطبيعة الزمانية والمكانية الذي كان يلامس الأنبياء عليهم السلام وغيرهم في وقتهم، كان كذلك يلامس جميع المخلوقات في كل الفترات التي مرت على سطح الكرة الأرضية.

فلو تحدثنا على سبيل المثال عن فترة زمنية أخرى، وبحثنا عن مجريات الأعمار هناك؛ فسوف نجد أن الجميع كان يتأثر بهذه الطبيعة في تلك الفترة تحديداً.

ففي العصور الأولى من الإسلام ـ مثلاً ـ:

هل كان يجري اليوم على فئة من الناس دون فئة، أم أن الجميع كان يتأثر بذلك، النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والإمام عليه السلام، والعامي وغيرهم؟

فلو فرضنا..

أن هناك رجلاً ولد في نفس يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام؛ فكم سيكون عمر هذا الرجل في يوم استشهاده عليه السلام؟

سيكون له نفس عمره الشريف.. أليس كذلك؟!

واليوم نحن والإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه نعيش تحت تأثير طبيعة زمانية منظور فيها تسارع الفلك، وطبيعة مكانية لها تأثير يختلف عن تأثير طبيعة تلك الأمكنة.. وقصر الأعمار هو النتيجة الحتمية التي تجري

علينا جميعاً تبعاً لذلك التأثير، كما كان طول الأعمار النتيجة التي تجري على الجميع في تلك العصور.

فبقاءه حياً كل هذه الفترة أمراً محيراً.. ويحتاج إلى تفسير!

الإجابة الثانية: بقاءه عجل الله فرجه الشريف طول هذه المدة معجزة

إن أمر بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف كل هذه المدة ممكن ولا شك فيه ؛ لتدخل القدرة الإلهية في ذلك.

بأبسط عبارة: إن بقاءه معجزة!

رفضوا هذه الإجابة كذلك!

بمدعى أن هناك الكثير من المعاجز بالإمكان تفسيرها!

فمعراجه صلى الله عليه وآله وسلم معجزة، وقدمت لها تفسيرات عديدة، ومنها أن جسمه صلى الله عليه وآله وسلم ألطف من أجسام الكل، وهو العلة المادية لكل شيء في الوجود[١].

وكذلك إحيائهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ للموتى معجزة، وأبسط تفسير لذلك: إنهم يحيون الموتى بالإذن وبالمدد من الله ـ سبحانه وتعالى ـ[٢].

---

(١) انظر/ جواب سؤال في كيفية المعراج وعدم الخرق والإلتئام "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١٠ ص٢٠.

(٢) انظر/ تراث الشيخ الأوحد "رسالة في جواب محمد مهدي ابن الملا شفيع الأسترابادي" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١١ ص١٢١.

فإقحام مسألة الإعجاز في كل شيء، هو أبسط ما يُقدم للهروب من الإجابة.. أو من مواجهة الذين تصادموا مع مسألة بقاءه عجل الله فرجه الشريف؛ فقالوا بأنه لم يولد بعد، أو مات.

حسناً..

بعد إطلاعك على هاتين المسألتين المحيرتين في مسألة الموت، وما دار فيهما من الآراء؛ من المؤكد أنك تود الوصول الآن إلى إجابات مقنعة.. أليس كذلك؟

فلا يهم إن كان الأمر لإشباع فضولك، أم لزيادة يقين الإيمان برفع تلك الإشكالات؛ فنحن أمام وضع يهم الجميع، ومنهم أنت!

فما العمل؟

هناك طرف آخر له رأي في مسألة عملية الموت، ومسألة بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

تعال معي لنرى ما رأيه فيهما؟!

لعلنا نجد الإجابات الشافية..

رأي الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة عملية الموت ومسألة بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

جاء رجل..

وقدم العديد من النظريات الحكمية في سطور الفكر الإسلامي ؛ فأصبح رأيه طرفاً آخر له قبول وحضور ملفت في مرافعات محاكمات المسائل المستعصية.

وأكثر ما أثار أذهان العديد من العلماء والمفكرين والمثقفين[1] ـ وحتى العوام ـ في نظرياته ؛ ليس إبداعها الحكمي الفريد من نوعه فحسب، بل وقوة استنباطها الذي تأصل عى مستند الكتاب والسنة، والعقل المستنير بنورهما.[2]

---

(١) انظر/ التحقيق في مدرسة الأوحد ـ الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.. ذكر فيه عدداً كبيراً من أقوال العلماء والمفكرين والمثقفين وغيرهم في شخصية الشيخ أحمد الأحسائي.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي مشيراً إلى مصادره التي استنبط منها كلماته الحكمية : (فأجبته إلى طلبته لما في ذلك من مصلحة الإيمان، وتقريراً لما قرره القرآن، وما أبانوه عليهم السلام من البرهان، بما هو قريب من الأذهان ؛ لعدم انفكاكه عن الوجدان، بشهادة العقل المستنير بنور الإيمان، بما يكون مهيمناً لدين الإسلام الذي أقر رسول الله صلى الله عليه وآله أمته عليه، وانساقت شواهد الكتاب والسنة والعقول المستنيرة بهما إليه). [شرح المشاعر ـ الشيخ أحمد الأحسائي : ج١ ص٢١].

مما جعل تلك النظريات تنال على درجة عالية من الإهتمام لديهم حتى وقتنا الحالي، وخصوصاً تلك الموضوعة في المسائل التي نشب حولها الخلاف الكبير في ساحة الفكر، وتعددت الآراء فيها؛ كمسألة الموت.

ففي هذه المسألة..

قدم نظرية المعاد الجسماني[١] التي استعصى حلها فلسفياً (عقلياً) على كبار فلاسفة العقليات[٢]، واستطاع من خلالها حل شبهة الآكل والمأكول[٣]، وشبهة استحالة إعادة المعدوم[٤].

وكذلك قدم رأياً فريداً في عالم هورقليا..

استطاع من خلاله حل جميع الإشكالات التي وردت في مسألة عملية الموت، ومسألة بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه.. إلخ.

فمن هو هذا الرجل؟

---

(١) انظر/ رسالة في جواب بعض الإخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٦٧.

(٢) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٢٠٠.

(٣) انظر/ رسالة في جواب الميرزا أحمد في شبهة الآكل والمأكول ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١٤١.

(٤) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٣٥٦ـ٣٥٨.

إنه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، المشهور بالشيخ الأوحد الأحسائي.

وحديثي معك ـ عزيزي القارئ ـ في نظريات وآراء الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة الموت سوف يكون في الأمر الذي يهمنا في رفع تلك الإشكالات التي مرت سابقاً؛ ألا وهو رأيه في عالم هورقليا.

وإن تطرقنا لذكر بعض النقاط الخاصة بنظرية المعاد أثناء ذلك؛ فما هو إلا من باب التداخل العميق بين المسألتين (كما أشرنا سابقاً).

فماذا قال الشيخ أحمد الأحسائي في هذا العالم؟

وكيف حل مسألة بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه في غيبته؟

تعال معي لنتعرف على ذلك في الفصول القادمة..

ولكن..

نحتاج أولاً التعرف على هذا الرجل، ولو بشيء يسير من سطور سيرته الشخصية.

الفصل الثاني

شخصية الشيخ أحمد الأحسائي

قد يكون التعرف على شخصيات أولئك الذين قدموا إسهامات جليلة في الفكر البشري أمراً ملحاً ؛ وبالذات أصحاب النظريات التي بنيت فوقها أطواد من المعرفة.

فسيسهم ذلك في فهم الاتجاه الذي يسيرون فيه ، والمبتغى الذي يريدون الوصول إليه.. وهكذا سنختصر اكتشاف الشيء الكثير في توجهات نظرياتهم ، وآراهم ، وأفكارهم.. إلخ.

حينما تزور أي بلد من البلدان حضارية كانت أم غير ذلك، فالآثار التاريخية هي الإرث الشامخ الذي يعني بترجمة روح الأمم الماضية بكل تفاصيلها الفنية والثقافية والهندسية والإجتماعية.

فالقصور الأثرية التي عاش فيها الملوك، والمعابد والدور المقدسة كالمساجد، والأماكن المحتضنة لجدران جرت في داخلها أحداث وقصص غابرة، والمتاحف التي تنتقل في داخلها وكأنك تحاول حل أحجية من تراكيب الصور والمجسمات ـ وغير ذلك ـ لتجمع الإجزاء المتناثرة من التراث والإسهامات.. كل ذلك يحاول تجسيد قيمة الحضارة التي نشأت بين أطرافها.

ولكن..

تبقى آثار رواد الفكر، العباقرة، العلماء.. أولئك الذين أحدثوا الإنعطافات العميقة في التاريخ؛ أحد أهم روافد الإرث التاريخي لأي بلد كان.

فينحت البعض تماثيلهم المصورة في الإماكن العامة تفاخراً، والبعض يحتفظ بمقتنايتهم التي منها لا يقدر بثمن؛ كمنازلهم

ومخصوطات كتاباتهم النفيسة، وحتى ثيابهم وغير ذلك، والبعض الآخر يحاول إعادة إحياء شخصياتهم ونتاجها على شاشات التلفزيون أو في داخل سطور الكتابات لبث الهمم، أو لعل الزمان يعيد غلطته فيولد لهم مثلهم.

ومدينة الأحساء الواقعة في شرق الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية حالياً) ليست مستثناة من قائمة أهم المناطق التاريخية في العالم.. فزخم آثارها التاريخية تجعلك تقف منبهراً أمام بصمات العصور التي مرت بها.

ومن المعالم التاريخية التي لازالت واقفة حتى اليوم تصارع ظروف الزمان والمكان وكأنها تأبى محو الأسم الملتصق بها، مسجد وبيت في قرية المطيرفي[1] بالأحساء يحملان أسم شخصية استحقت مكانها وبجدارة في أصول التاريخ الإسلامي؛ ألا وهي شخصية الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي المطيرفي، المعروف بالشيخ الأوحد الأحسائي.

هذه الشخصية العلمائية الفريدة..

---

(١) من قرى الأحساء الشمالية، وهي قرية متوسطة المساحة، تبعد عن الهفوف ـ عاصمة الأحساء ـ (٩كم).

تحكي لنا السيرة التي خُطت بقلم صاحبها[١] ندرة نشأته، لاسيما في جانبها الروحاني، وتحكي لنا مصنفاته ومؤلفاته نوع العالم الذي يتم الحديث عنه في جهة تراثنا.

فنحن وبكل تواضع أمام زعيم مدرسة فكرية إسلامية إمامية إثنى عشرية، أغنى نتاجها المكتبات الإسلامية قاطبة بمختلف أصناف العلوم، وخصوصاً في فن الحكمة الإلهية (الفلسفة).

ولا أريد من هذا المختصر التطرق إلى الترجمة العميقة لحيثيات شخصية الشيخ أحمد الأحسائي، فهذا من شأن كتب التراجم الرجالية[٢]، ولكن نحن بحاجة ولو إلى بعض السطور التي نستشف منها قيمة شخصيته، وعمق إرثها الفكري.

فتعال معي لنقرأ بعض السطور في سيرة حياته..

(١) كتب الشيخ أحمد الأحسائي سيرته بقلمه، وقد طبعت مرات عديدة، ومنها: سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ إعداد د. حسين محفوظ.

(٢) انظر/ آخر الفلاسفة ـ د. حسن الشيخ: ص٢٣ـ٢٥.. جمع في الهامش أكثر من أربعين مصدراً.

اسمه ونسبه

هو الشيخ أحمد بن زين الدين، بن إبراهيم، بن صقر، بن إبراهيم، بن داغر ـ غفر الله لهم أجمعين ـ، بن رمضان، بن راشد، بن دهيم، بن شمروخ، آل صقر، وهو كبير الطائفة المشهورة بالمهاشير، وشيخهم وبه يفتخرون وإليه ينتسبون[1].

ولد في قرية المطيرفي بالأحساء، في شهر رجب سنة (١١٦٦هـ).

(١) سيرة الشيخ أحمد الأحسائي: ص٩ـ١٣، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ج١ ص٥٣، إجازات الشيخ أحمد الأحسائي: ص٥. روضات الجنات ـ الخوانساري: ج١ ص٩٧.

سيرته العلمية

كان الشيخ أحمد الأحسائي من الرعيل الأول من بين كبار علماء الشيعة الإمامية[1]، وقد انصب جهده العلمي في جوانب عديدة، ومنها:

الجانب الأول: إجازاته

هاجر إلى العراق في سنة (١١٨٦هـ)، وتنقل بين النجف وكربلاء[2]، ونال العديد من الإجازات من أعاظم العلماء آنذاك، ومنهم:

١ـ السيد محمد مهدي الطباطبائي[3]، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)[4].

---

(١) لم يعرف للشيخ الأوحد الأحسائي أساتذة، كما لم يذكر هو في ترجمته لنفسه غير الشيخ محسن القرين.

(٢) الشيخية ـ الطالقاني: ص٣٥.

(٣) وهو من أكابر علماء عصره، علماً وأدباً، تخرج عليه جمع من أعاظم الفقهاء وعمد الطائفة، وهو جد أسرة (آل بحر العلوم) العلمية في النجف، ولد في كربلاء عام (١١٥٥هـ)، وتوفى في النجف عام (١٢١٢هـ). [منتهى المقال في أحوال الرجال ـ للشيخ أبي علي الحائري: ص٣١٤].

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص٢٥٥.

٢ـ الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي[١]، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)[٢].

٣ـ السيد علي الطباطبائي، صاحب (كتاب الرياض)[٣]، لم يرد تاريخ لإجازته[٤].

٤ـ السيد ميرزا مهدي الشهرستاني[٥]، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٩هـ)[٦].

---

(١) وهو من أعاظم علماء الشيعة، انتهت إليه الزعامة الدينية العامة، واجتمعت حكومتا آل قاجار في إيران وآل عثمان في تركيا على إكباره، ولم يتحدث تاريخ الزعامة الدينية في النجف عن نظير له في المكانة العلمية والعملية، ولد عام (١١٥٦هـ)، وتوفى عام (١٢٢٨هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٥ ص٤١٨ـ٤٣٥].

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٦٥.

(٣) وهو أحد الفقهاء الأثبات، والعلماء الخالدين، وجهابذة الرأي الأفاضل، تخرج على يديه العديد من العلماء: الشيخ محمد المازندراني، والسيد أبو قاسم الخونساري، والشيخ أسد الله التستري، وأبنيه السيد محمد والسيد مهدي الطباطبائي.. وغيرهم. ولد عام (١١٦١هـ)، وتوفى عام (١٢٣١هـ). [قصص العلماء ـ للتنكابني: ص١٢٩ـ١٣١].

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص٢١٩.

(٥) من أكابر فقهاء كربلاء وزعمائها الدينيين في عصره، وبيت الشهرستاني من الأسر العلمية الكربلائية التي أنجبت الكثير من العلماء، توفى عام (١٢١٦هـ). [الكنى والألقاب ـ للمحدث القمي: ج٢ ص٣٤٤ـ٣٤٥].

(٦) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص٥٣.

٥ـ الشيخ حسين آل عصفور البحراني[١]، وتاريخ إجازته عام (١٢١٤هـ)[٢].

٦ـ الشيخ أحمد بن الشيخ حسن الدمستاني البحراني[٣]، وتاريخ إجازته عام (١٢٠٥هـ)[٤].

وقد طبعت هذه الإجازات مستقلة في النجف الأشرف عام (١٣٩٠هـ) بشرح وتعليق الدكتور حسين علي محفوظ[٥].

ولا بأس بذكر بعض المقتطفات القصيرة من تلك الإجازات، وثناء العلماء عليه؛ لبيان مكانته الشخصية ورفعته العلمية والعملية عندهم.

قال الميرزا مهدي الشهرستاني ـ في إجازته له ـ:

(... حيث أن الشيخ الجليل والعمدة النبيل، والمهذب الأصيل العالم الفاضل، والباذل الكامل المؤيد المسدد الشيخ أحمد الأحسائي ـ

(١) هو زعيم المدرسة الإخبارية، وشيخ علمائها، وأحد المجازين من عمه الشيخ يوسف البحراني، صاحب كتاب (الحدائق الناظرة)، توفى عام (١٢١٦هـ). [أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين: ج٢٧ ص١٢٨ـ١٣٦].

(٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٨٨.

(٣) وهو من علماء عصره وأدبائه، ولكن التاريخ ظلمه كألوف غيره، لاسيما من أبناء منطقته وطائفته. [طبقات أعلام الشيعة ـ الطهراني: ج٢ ص٨٠ـ٨١].

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ الشيخ الطهراني: ج١ ص١٤١.

(٥) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ د. حسين علي محفوظ: ص٥.

أطال الله بقاه، وأقام في معارج العز وأدام ارتقاه ـ، ممن رتع في حياض العلوم الدينية، وكرع من حياض زلال سلسبيل الأخبار النبوية، وقد استجازني فيما صحت لي روايته وثبتت لدي درايته، من معقول ومنقول وفروع وأصول، حسبما جرى عليه السلف والخلف من علمائنا الأبرار، من الشرف والانتظام في سلك الرواة عن الأئمة الأطهار... ولما كان دام عزه وعلاه أهلاً لذلك، فسارعت إلى إجابته، وإنجاح طلبته، لما كان إسعاف مأموله فرضاً لفضله وجودة فطنته، فأقول: إني قد أجزت له أدام الله علاه أن يروي عني ...)[1].

وقال السيد محمد مهدي الطباطبائي ـ في إجازته له ـ:

(... وكان ممن أخذ بالحظ الوافر الأسنى، وفاز بالنصيب المتكاثر الأهنى، زبدة العلماء العاملين، ونخبة العرفاء الكاملين، الأخ الأسعد الأمجد، الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي ـ زيد فضله ومجده، وعلا في طلب العلا جده ـ. وقد التمس منّي أيده الله تعالى الإجازة في رواية الأخبار، الواردة عن الأئمة الأطهار ـ عليهم سلام الله أناء الليل والنهار ـ عنّي وعن مشائخي الأعاظم الأجلة، ووسائطي

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ د. حسين علي محفوظ: ص١٩.

إلى رؤساء المذهب والملة، فسارعت إلى إجابته، وقابلت التماسه بإنجاح طلبته، لما ظهر لي من ورعه وتقواه، وفضله ونبله وعلاه، فأجزت له وفقه الله لسعادة الدارين وحباه بكل ما تقر به العين، رواية الكتب...)[١].

وقال الشيخ حسين آل عصفور البحراني ـ في إجازته له ـ:

(... التمس مني من له القدم الراسخ في علوم آل بيت محمد الأعلام، ومن كان حريصاً على التعلق بأذيال آثارهم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، أن أكتب له إجازة، كما هي الطريقة الجارية بين العلماء في جميع الأصقاع والأعوام، لحصول التبرك بطرق التحمل المغروسة في قلوب العلماء، حدائق التثبيت المروية برواشح إفاضاتهم على الاستمرار والدوام، وهو العالم الأمجد ذو المقام الأنجد، الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، ذلّل الله له شوامس المعاني، وشيّد به قصور تلك المباني، وهو في الحقيقة حقيق بأن يجيز ولا يجاز، لعراقته في العلوم الإلهية على الحقيقة لا المجاز، ولسلوكه طريق أهل السلوك وأوضح المجاز ...)[٢].

---

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ د. حسين علي محفوظ: ص٢٩.

(٢) نفس المصدر السابق: ص٤٣.

وقال السيد علي الطباطبائي ـ في إجازته له ـ:

(... إنّ من أغلاط الزمان، وحسنات الدهر الخوّان، اجتماعي بالأخ الروحاني والخل الصمداني، العالم العامل والفاضل الكامل، ذي الفهم الصائب والذهن الثاقب، الراقي أعلى درجات الورع والتقوى والعلم واليقين، مولانا الشيخ أحمد بن الشيخ زين الدين الأحسائي ـ دام ظله العالي ـ. فسألني بل أمرني أن أجيز له ما صحت لدي إجازته، واتضح لي روايته، من مصنفات علمائنا الأبرار.. فأجزت له رواية جميع ذلك، وأن يروي عني..)[١].

وقال المحقق الشيخ عبد الحسين الأميني[٢] ـ في حقه ـ:

(أحد فطاحل العلماء يروي عن سيدنا بحر العلوم، والشيخ كاشف الغطاء، والسيد صاحب الرياض، والسيد مهدي الشهرستاني، والشيخ أحمد البحراني، ويروي عنه صاحب الجواهر، والحاج ميرزا إبراهيم الكلباسي صاحب الإشارات)[٣].

---

(١) إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ د. حسين علي محفوظ: ص٢٣.

(٢) هو العلامة الشيخ عبد الحسين بن الشيخ أحمد بن المولى نجف علي الشهير بالأميني، صاحب كتاب (الغدير)، ولد عام (١٣٢٠هـ)، وتوفى عام (١٣٩٠هـ) في طهران، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف.

(٣) شهداء الفضيلة ـ الشيخ عبد الحسين الأميني: ص٣١١.

وقال الشيخ الميرزا محمد باقر الخوانساري [١] ـ في حقه ـ:

(... ترجمان الحكماء المتألهين، ولسان العرفاء المتكلمين، غرة الدهر وفيلسوف العصر، العالم بأسرار المباني والمعاني، شيخنا أحمد بن الشيخ زين الدين بن الشيخ إبراهيم الأحسائي، لم يُعْهد في هذه الأواخر مثله في المعرفة، والفهم والمكرمة والحزم، وجودة السليقة، وحسن الطريقة، وصفاء الحقيقة، وكثرة المعنوية، والعلم بالعربية، والأخلاق السنية والشيم المرضية والعلمية والعملية، وحسن التعبير والفصاحة، ولطف التقرير والملاحة، وخلوص المحبة والوداد، لأهل بيت الرسول الأمجاد ...) [٢].

وقال الشيخ عباس القمي [٣] ـ في حقه ـ:

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي البحراني، الحكيم المتأله، الفاضل العارف العالم العابد، المحدث الماهر والشاعر، وصاحب شرح

---

(١) الميرزا محمد باقر الخوانساري الأصفهاني بن الفقيه الميرزا زين العابدين بن المحدث الفقيه السيد أبي القاسم بن الفقيه السيد حسين بن الفقيه المتبحر المير أبي القاسم جعفر المشتهر بالمير الكبير، وهو من العلماء المشهورين والفقهاء العظام، ولد في بلدة خوانسار عام (١٢٢٦هـ) وتوفى عام (١٣١٣هـ).

(٢) روضات الجنات ـ الخوانساري: ج١ ص٩٧.

(٣) الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي رحمه الله تعالى، صاحب كتاب (مفاتيح الجنان)، وهو من العلماء المشهورين بتهذيب النفس وقيم الأخلاق والعلم، ولد في قم عام (١٢٩٤هـ) وتوفى عام (١٣٥٩هـ).

الزيارة، وشرح الحكمة العرشية لملا صدرا، وشرح التبصرة للعلامة، والرسائل الكثيرة، والذي توفي في أوائل سنة (١٢٤٣هـ) في سفر الحج، ودفن خلف البقعة المباركة لأئمة البقيع ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ. وزرت قبره وكان مكتوباً على لوح مزاره الشريف:

لزين الدين أحمد نور علم تضيء به القلوب المدلهمة
يريد الجاحدون ليطفئوه ويأبى الله إلا أن يتمه)[1].

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء[2]:

(... ثم لما انتشرت كتبه ورسائله بعد حياته اختلف الناس فيه بين غالٍ وقالٍ، بين من يقول بركنيته، وبين من يقول بكفره، والتوسط خير الأمور، والحق أنه من أكابر علماء الأمامية وعرفائهم، وكان على غاية من الورع والزهد والاجتهاد في العبادة، كما سمعناه ممن نثق به..)[3].

(١) أعلام هجر ـ السيد هاشم الشخص: ج١ ص١٨٣. عن الفوائد الرضوية.

(٢) هو الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، ولد في النجف الأشرف عام (١٢٩٤هـ)، وتوفى عام (١٣٧٣هـ). وعائلة كاشف الغطاء من العوائل العلمية العريقة التي تزعمت الحركة الدينية في النجف لمدة قرن وثمانين سنة.

(٣) الآيات البينات ـ محمد حسين كاشف الغطاء: ص١١١.

وقال العلامة الشيخ عبد الله بن معتوق القطيفي [١]:

(ناموس الدهر وتاج الفخر وعلامة العصر، موضح الحقيقة والطريقة، ومحيي الشريعة على الحقيقة، الحكيم الرباني والعارف السبحاني، والفريد الذي ليس له ثانٍ، أعلم العلماء ورئيس الحكماء وقدوة الفقهاء، العارف بالله والمقتفي في مطالبه لأولياء الله، والمتخلق بأخلاق الروحانيين، والمتمسك بحبل الله المتين، عماد الملة والدين، العلم الأوحد الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي طاب ثراه ...)[٢].

وقال الشيخ الميرزا علي التبريزي [٣]:

(الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، فخر الأعلام وذخر الأيام، تاج الدهر وناموس العصر، العلامة الأوحد والفاضل الفهامة الأمجد، العالم الرباني والفاضل الكبريائي الصمداني... وكان قدس سره قليل النطق كثير الصمت، لو نطق فبالحق ولو سكت فعن الباطل، جامعاً

(١) الشيخ عبد الله بن معتوق بن درويش بن معتوق بن عبد الحسين بن الحاج مرهون البلادي القطيفي التاروتي، من العلماء البارعين ومراجع الدين، من أشهر المستجيزين منه آية الله المعظم المولى الميرزا موسى الحائري الإحقاقي. ولد عام (١٢٧٤هـ)، وتوفى عام (١٣٦٢هـ).

(٢) أعلام هجر ـ السيد هاشم الشخص: ج١ ص١٨٤.

(٣) الشهيد ثقة الإسلام، الميرزا علي بن الميرزا موسى التبريزي، أحد مشاهير العلماء في العهد القاجاري، ولد عام (١٢٧٧هـ)، وتوفى عام (١٣٣٠هـ).

بين الشريعــة والحقــيقة، مــرتاضاً زاهداً، معرضاً عن الدنيا وأهلها، ساعياً في إظهار ما أراده الله من التدبر في آيات النفس والآفاق ...)[1].

(١) مرآة الكتب ـ التبريزي: ج١ ص٢٦٠ـ٢٦١.

الجانب الثاني: تلاميذه

تصدر للتدريس في المعقول والمنقول سنيناً طِوالاً، في كربلاء والنجف والبصرة، وغيرها من المدن العراقية، وفي قزوين وطهران وكرمانشاه، وغيرها من المدن الإيرانية، وفي الأحساء والبحرين، وغيرهما من مدن الخليج. وقد تخرج على يديه العديد من العلماء وأهل الفضل في تلك الفترة، وكان من أهم تلامذته:

١ـ السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي[1]، وهو من أوائل تلامذته، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

(١) هو آية الله العظمى السيد محمد كاظم بن محمد قاسم بن أحمد بن حبيب الحسيني الموسوي المدني الكربلائي، ترجع أسرة السيد الرشتي إلى عائلة الزُبَارة، وهي بطن كبير من السادة العلوية، ولد في مدينة رشت، واختلف في تاريخ ولادته؛ فقيل في عام(١٢٠٥هـ)، وقيل في عام (١٢١٢هـ). وقد خلف ثروة فكرية ضخمة في مختلف المواضيع الإسلامية، كالعقيدة، والتفسير، والفقه، والأصول، والعلوم الغريبة، وعلم الحرف، وغير ذلك. دس له والي بغداد نجيب باشا سماً في القهوة، وتوفى عام (١٢٥٩هـ). [رسالة صعودية نزولية (مجموعة رسائل) ـ الرشتي: ج٢ ص٢٣٤. الأنساب ـ السمعاني: ج٣ ص١٢٨. الشيخية ـ الطالقاني: ص١١٨ـ١٣٢. الإجازة ـ الحائري: ص٨٦].

٢ـ الميرزا حسن بن علي[١]، الشهير بـ (كَوهر)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٣ـ السيد عبدالله بن السيد محمد رضا شبر الحسيني، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

٤ـ الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي[٢]، المعروف بـ (حجة الإسلام)، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٥ـ الشيخ الملا هادي بن المهدي السبزواري، صاحب كتاب (المنظومة)، المتوفى عام (١٢٨٩هـ).

٦ـ السيد محسن بن السيد حسن الأعرجي الحسيني الكاظمي، المتوفى عام (١٢٢٧هـ).

---

(١) هو آية الله العظمى الميرزا حسن بن علي القراجه داغي التبريزي، الشهير بكَوهر، ولد في بلدة (أوج دبين) وهي قرية من قرى (قراجة داغ) من محال آذربيجان. وقد حظي عند أستاذه الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه) بمكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة. تولى المرجعية في العراق بعد وفاة السيد كاظم الرشتي قدس سره عام (١٢٥٩هـ).. توفى في مكة المكرمة عام (١٢٦٦هـ). [الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٢٤ـ ٢٢٧].

(٢) هو آية الله العظمى الشيخ محمد بن الحسين بن زين العابدين بن علي بن إبراهيم المامقاني التبريزي، عرف بالزهد والورع وعزوفه الشديد عن الدنيا ولذاتها، وهو من الذين ناظروا الباب وحكموا بكفره، توفى في تبريز عام (١٢٦٩هـ) ودفن في مزار السيد إبراهيم الواقع في محلة شتريان دوه جي. [الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٢٨ـ٢٣٠].

٧ـ الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٨ ـ الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي.

وغيرهم الكثير من العلماء والفضلاء..

ومن العلماء الذين نالوا الإجازات من الشيخ أحمد الأحسائي:

١ـ الشيخ أسد الله التستري الكاظمي، صاحب كتاب (المقابس)، المتوفى عام (١٢٣٤هـ).

٢ـ الشيخ إبراهيم الكلباسي، صاحب كتاب (الإشارات)، المتوفى عام (١٢٦١هـ).

٣ـ السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني الرشتي، المتوفى عام (١٢٥٩هـ).

٤ـ الميرزا حسن بن علي، الشهير بـ (كَوهر)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

٥ـ السيد عبد الله بن السيد محمد شبر رضا الحسيني، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

٦ـ الشيخ مرتضى الأنصاري، صاحب كتاب (المكاسب)، المتوفى عام (١٢٨١هـ).

٧ـ الشيخ محمد بن الحسين المامقاني التبريزي، المتوفى عام (١٢٦٩هـ).

٨ ـ الشيخ علي نقي بن الشيخ أحمد الأحسائي، المتوفى عام (١٢٤٦هـ).

٩ـ الشيخ محمد تقي بن الشيخ أحمد الأحسائي.

١٠ـ الشيخ محمد حسن النجفي، صاحب كتاب (جواهر الكلام)، المتوفى عام (١٢٦٦هـ).

الجانب الثالث: مصنفاته

خلف العديد من الآثار الفكرية في مختلف العلوم والمعارف، من كتب ورسائل وشروحات وأجوبة وغيرها[١].

وقد اختلف في عددها:

فيذكر آية الله المولى المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الأحقاقي[٢] في كتابه "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد"، ما يقرب من (١٧٣) مصنف للشيخ الأحسائي مع شرح مبسط لمحتوياتها[٣].

---

(١) ذكر ـ المعاصر ـ الأستاذ الدكتور حسن الشيخ في كتابه (آخر الفلاسفة): أن مصنفات الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي (أعلى الله مقامه) قد بلغ عددها (١٨٥)، من مصنف ورسائل وأجوبة وشروحات وقصائد وغيرها، وهو أعلى عدد تم رصده لمؤلفاته (أعلى الله مقامه) حتى الآن. [آخر الفلاسفة ـ د. حسن الشيخ: ص٥٥].

(٢) هو المرجع الديني الراحل المولى آية الله المعظم الميرزا عبد الرسول بن الميرزا حسن بن الميرزا موسى بن الميرزا محمد باقر بن الآخوند محمد سليم الحائري الإحقاقي الأسكوئي، له العديد من المؤلفات، أشهرها: "الولاية"، "التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد"، "تفسير الثقلين". ولد في الكويت عام (١٣٤٨هـ)، وتوفى في عام (١٤٢٤هـ).

(٣) التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد ـ الميرزا عبد الرسول الحائري الأحقاقي: ج١ ص٢٢٩.

ويذكر رياض طاهر في فهرسته لتصانيف الشيخ الأوحد (أعلى الله مقامه): (أن مجموع ما صدر عن المترجم من رسائل وكتب وخطب وفوائد وقصائد (١٥٤)، ومجموع جوابات المسائل (٥٥٥) مسألة، من مخطوط ومطبوع على الأقل)[١].

ويذكر الشيخ أبو القاسم الكرماني[٢] في كتابه: (أن مجموع آثار الشيخ أحمد تبلغ (١١٥) رسالة، و(٥) خطب، و(٣٥) فائدة، ومراسلة واحدة، تقع في (٣١) مجلداً، فُقِد منها (١١) مجلداً)[٣].

وأهم مصنفاته وأوضحها لفكره أربعة كتب هي:

١ـ شرح الزيارة الجامعة الكبيرة.

٢ـ شرح العرشية، لصدر الدين الشيرازي.

٣ـ شرح المشاعر، للشيرازي أيضاً.

٤ـ الفوائد وشرحها.

---

(١) فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي ـ رياض طاهر: ص٣.

(٢) هو الحاج أبو القاسم خان بن الحاج زين العابدين خان بن الحاج محمد كريم خان القاجاري الكرماني، ولد في كرمان عام (١٣١٤هـ)، وتوفى عام (١٣٨٩هـ). [الشيخية ـ الطالقاني: ص٢٦٦ـ٢٦٩].

(٣) فهرست كتب شيخ أحمد أحسائي وسائر مشائخ عظام ـ الشيخ أبو القاسم الكرماني: ص٧٣٥.

الجانب الرابع: وفاته

توفي في يوم الأحد (٢٢) من ذي القعدة عام (١٢٤١هـ) في منطقة تسمى (هدية) بين المدينة ومكة، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن في البقيع خلف الحائط الذي فيه أئمة البقيع عليهم السلام[١].

(١) الدين بين السائل والمجيب ـ الميرزا حسن الأحقاقي: ج١ ص١١٠.

الفصل الثالث

عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي

سوف نبدأ الحديث في هذا الفصل عن عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي، وقد يكون هناك العديد من الأمور التي تحتاج إلى التوضيح المسهب قليلاً.. فحاولتُ بيانها بأسهل الطرق.

فرتبت المواضيع بطريقة معينة، وذكرت بعض المقدمات التي قد تجعلك تظن أننا خرجنا عن موضوعنا؛ غير أننا مازلنا نتحدث في داخله.. فعليك أن تتحلى بالصبر حتى تصل إلى نهايته.

في البداية اسمح لي أن اسألك هذا السؤال:

ماذا تتوقع..

هل اختار الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة عملية الموت:

الرأي الذي يقول بأنها انتقال من دار إلى دار؟

أم الرأي الذي يقول بأنها عدم وفناء؟

بالطبع.. لقد اختار الرأي الأول.[1]

فلم يخالف الرأي السائد والمشهور في الوسط العقائدي.. فهو يرى أن هناك حياة برزخية بعد هذه الحياة، وأن الإنسان إذا مات ووضع في القبر فإن جسده يعدم[2]، وروحه تنتقل إلى عالم هورقليا (أو عالم البرزخ، أو عالم المثال)[3].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أن جسمك الآن هو جسم الدنيا، وهو جسم البرزخ، وهو جسم الآخرة بعينه، وإنما ينتقل من دار دانية إلى دار عالية، لأنه نزل من العالية إلى الدانية، ويرجع إلى محل بدئه). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٢٩٥].

(٢) الجسد العنصري هو الذي يعدم، أما الجسد الأصلي فيبقى في القبر مستديراً، وسوف يأتي الكلام على ذلك لاحقاً.

(٣) يستخدم الشيخ أحمد الأحسائي هذه المصطلحات بشكل عام في بيان العالم الذي تنتقل إليه الإرواح، وقد يكون له مراد خاص منها في بعض الجزئيات الدقيقة في منهجه.

وهذا العالم ولفظته ليسا من مخترعاته كما يعتقده البعض.. فهناك من يجعلك تظن بأنه قد اخترع هذه اللفظة (أو المصطلح)، ولا يوجد قبله أحد تحدث عن هذا العالم!

فلفظة (أو مصطلح) هورقليا مأخوذة من اللغة السريانية القديمة، ويريد بها ـ هنا[١] ـ: عالم البرزخ[٢].

وقد تحدث عن هذا العالم عدد كبير من الفلاسفة، والبعض منهم استخدم نفس هذا المصطلح في كتاباته، كفلاسفة اليونان: أفلاطون، وفيثاغورس، وأفلوطين، وكفلاسفة الإسلام: ابن سينا، وشيخ الأشراق السهروردي، والملا صدرا الشيرازي.

نعم.. له رأي يختلف تماماً عن أرآئهم في هذا العالم، وما يريده من معنى بهذا المصطلح يختلف تماماً عن معانيهم.

---

(١) هناك مرادات أخرى للشيخ أحمد الأحسائي في مصطلح هورقليا، سوف نذكرها لاحقاً.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أقول: أما لفظة هورقلينا فمعناها ملك آخر، لأن المراد به عالم البرزخ.. وأما أنه من أي لغة هي، فهي من اللغة السريانية، وهي لغة الصابئة الآن، وهم في هذا الزمان يسمون بالصبة، وهم الآن في البصرة ونواحيها كثيرون ـ لعنهم الله ـ). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥٠].

ويقول: (وعالم البرزخ المعبر عنه بعالم المثال، عالمه العلوي وأفلاكه يسمى هورقليا، يعني ملكاً آخر، وعالمه السفلي هو جابرسا وجابلقا). [رسالة في جواب الشيخ علي العريض "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٢٣٦].

إذا فهمت هذه النقطة..

فكيف سننطلق في الحديث عن عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي لنصل إلى ما نريده منه؟

قبل كل شيء..

هل تتفق معي في أنه من الواجب تحديد مكان هذا العالم في دائرة الوجود؟!

لعلك تسأل: لماذا؟

لأنه من البداهة قبل الحديث عن أي عالم من العوالم يجب أولاً تحديد مكانه بدقة متناهية.

فإن الأمر كما لو أردت وصف مدينة معينة لإنسان ما، فعليك أن تبدأ بتحديد مكانها على الخارطة الجغرافية أولاً؛ لأن ذلك سيرسم صورة واضحة لأمور عديدة، ومنها:

ـ طبيعة هذه المدينة التي سيكتشفها من مكانها الواقع في الشرق أم في الغرب.. فسوف يدرك من ذلك هل هي مدينة حارة أم باردة مثلاً.

ـ ماذا يوجد فيها؟

فإن كانت مدينة باردة فلن يجد فيها الأشياء التي تحتاج إلى الحرارة، والعكس.

ـ كيف يصل إلى تلك المدينة؟

هل تحيطها البحار فيحتاج إلى قارب للوصول إليها، أم تحيطها الصحاري أم الغابات فيحتاج إلى وسيلة أخرى!

كذلك الأمر هنا..

فإن الحديث عن عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي من الواجب أن ينطلق من تحديد مكانه في دائرة الوجود أولاً.. ثم تأتي بعد ذلك باقي المواضيع التي ترتبط به.

ولتحديد مكان هذا العالم سوف أتحدث معك أولاً في مواضيع شيقة جداً في حكمة الشيخ أحمد الأحسائي ترتبط بصميم غايتنا.

فتعال معي لنتعرف عليها..

الوجودات الثلاثة عند الشيخ أحمد الأحسائي

لو نظرت إلى نفسك وإلى الأشياء الموجودة في الخارج، وأردت أن تقوم بتقسيمها.

فأبسط طريقة لذلك هي:

وضع المفاهيم الكلية أولاً؛ كمفهوم البشر، والحيوان، والنبات.. ثم وضع المفاهيم الجزئية تحت كل مفهوم يعود إلى تلك المفاهيم الكلية، أو يرتبط بها.

وهكذا، حتى تصل في النهاية إلى الأفراد الجزئية التي تنتمي إلى كل سلسلة من سلاسل المفاهيم التي تكونت لديك.

فمثلاً..

تحت مفهوم البشر الكلي ستضع مفهوماً جزئياً (بشر أبيض اللون، بشر أسود اللون..)، ومفهوماً جزئياً آخر (بشر مسلم، بشر كافر..)؛ وهكذا التقسيم يترامى نزولاً حتى تصل إلى وضع أسم زيد تحت السلسلة التي يعود إليها.

وتحت مفهوم الحيوان الكلي ستضع مفهوماً جزئياً (حيوان مفترس، حيوان غير مفترس..)، ومفهوماً جزئياً آخر (حيوان بري، حيوان بحري..)؛ وهكذا التقسيم يترامى نزولاً حتى تصل إلى وضع العصفور تحت السلسلة التي يعود إليها.

ولو قررت ـ عزيزي القارئ ـ يوماً ما فعل ذلك:

فكم ستحتاج من الوقت لإحصاء كل الأشياء في هذا العالم؟

وكم سيكون عدد الكراريس المتكونة من ذلك؟

وبعد انتهائك من هذا العمل..

لو جئتك ببعض الأشخاص، وطلبت منك شرح هذا التقسيم لهم بدقة؛ فعل تعتقد أن الأمر سيكون سهلاً أم صعباً لإصاله إلى أذهانهم؟

بالطبع.. ستحتاج لوقت طويل، وسيتكون لديك الأعداد الهائلة من الكراريس، ولن يكون الأمر سهلاً في إيصاله إلى الأخرين.

ولكن.. إن الأمر عند الحكماء والفلاسفة يختلف كثيراً!!

فإنهم يستخدمون طرقاً ومفاهيم تحمل عمقاً حكمياً ليختزلوا على أنفسهم وقت استقراء المعلومة، والكثرة المتكونة في النتائج،

وكذلك ليسهل عليهم إيصال ما يريدونه إلى الأخرين في أقل عدد ممكن من الكلمات.

فالشيخ أحمد الأحسائي حينما أراد تقسيم الأشياء[١]، قال: (إن الشيء إما صانع أو صنع أو مصنوع؛ فالصانع هو الواجب تعالى، والصنع فعله، والمصنوع ما سوى الله سبحانه من مصنوعاته)[٢].

واسمح لي ـ عزيزي القارئ ـ ببيان كلماته؛ لفائدة ستدركها لاحقاً أثناء حديثنا.

تأمل جيداً فيما قاله..

ستلاحظ أن هناك ثلاثة مفاهيم رئيسية استخدمها في قسمته للأشياء: الصانع، الصنع، والمصنوع.

والآن فكر معي قليلاً..

في ماذا تستخدم هذه المفاهيم الثلاثة؟

إنها تستخدم في عملية الإيجاد!

---

(١) إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليس داخلاً في القسمة مع باقي الأشياء؛ لتنزه ذاته عن مجانسة غيره من مصنوعاته.. وما جاء هنا هو إشارة إلى العنوان الذي يعرف به، وللتفهيم وبيان الإختلاف في وجوده ووجود غيره ـ كما سيأتي لاحقاً ـ [انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٤].

(٢) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٢٩.

أيُ عملية إيجاد لا بد أن يكون فيها ثلاثة أشياء: فاعل، فعل، ومفعول.

فمثلاً..

لو طلبت منك إيجاد باب، وقلت لك هكذا: أوجد لي باباً؟

فأنت شيء (الصانع= الفاعل)، والباب شيء (المصنوع = المفعول)، وفعل الإيجاد (= الصنع) لا يظهر إلا بشيء ثالث (بمادة)[1]، وهو الخشب أو الحديد أو الألمنيوم..إلخ.

فكم شيئاً صار لدينا في هذه العملية؟

ثلاثة أشياء.. أليس كذلك؟

أنت، والباب، والخشب ـ مثلاً ـ.

فالنتيجة.. أن أي عملية إيجاد تحتاج إلى هذه الأشياء الثلاثة: الصانع، والصنع، والمصنوع.

إذا فهمت هذه النقطة..

فاسمح لي أن اطرح عليك هذا السؤال الآن:

هل يمكن أن أطلق عليك صانع في عملية إيجادك للباب؟

---

(١) لكون الفعل غيباً بحاجة إلى أثر، أو صفة، أو محل يُظهِره.

بالطبع.. من باب المسامحة في الحوارات، من باب اللغة.. يمكن إطلاق ذلك عليك؛ ولكن من باب الحقيقة لا يوجد هناك إلا صانع واحد، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

لماذا؟

فكر معي في المادة التي أوجدتَ بها الباب.

تلك التي وقع عليها فعل الإيجاد.. ولتكن الخشب مثلاً.

هل أنت ابتدعتها، اخترعتها[1]؟ أي: أوجدتها لا من شيء كان قبلها؟

أم أنك أخذتها من شيء كان قبلها؟ أي: أخذت الخشب من الشجرة مثلاً.. فأوجدت به الباب.

من المؤكد أنه لا يمكن لأي مخلوق إيجاد شيئاً بمادة يبتدعها إبتداعاً؛ فالكل بحاجة إلى مادة مسبوقة بالغير ليظهر بها فعله (صنعه).

إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الوحيد القادر على إيجاد الأشياء لا من شيء كان قبلها، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

---

(١) أي: إخترعت الخشب إختراعاً، ولم تأخذه من شيء كان قبله.. والإختراع والإبداع لها نفس المعنى هنا.

(٢) سورة يس: (٨٢).

فإنه لما أحب تكرماً وتفضلاً صنع الأشياء، ابتدع مادة لا من شيء كان قبلها، وهي مشيئته[١] (= فعله)[٢].

ولذا قالت السيدة الجليلة فاطمة الزهراء عليها السلام ـ في خطبتها بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله ـ: «ابتدع الأشياء لا من شي كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها»[٣].

وبتلك المادة المبتدعة خلق الأشياء كلها[٤]؛ ولذا ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة»[٥].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (المشيئة هي الذكر الأول، يعني أن الفاعل إذا أراد صنع شيء، أول ما يذكره وتتوجه إليه العناية؛ هو المشيئة.. والإبداع هو الفعل). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٨٢ـ٢٨٥].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (اعلم: أن المشيئة أول خلق خلقه الله تعالى بنفسه.. لأنه فعل الواحد سبحانه). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٣١٠].

(٣) جواهر التاريخ ـ الشيخ علي الكوراني العاملي: ج١ ص١٤٦.

(٤) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (اعلم: إن سبحانه خلق الأشياء لا من شيء، أي: لا من مادة كانت معه غير مكونة، وإلا لكانت مخلوقة من حصص قديمة لم تزل، تعالى ربي عن ذلك علواً كبيراً، بل خلق لها مادة اخترعها لا من شيء سبق، وإنما هي تأكيد فعله وأثره، مثل: (ضرباً)، الذي هو الحدث من (ضَرَب)، وذلك هو هيولى الأشياء ووجودها). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١١].

(٥) الكافي ـ الشيخ الكليني: ج١ ب/ الإرادة إنها من صفات الفعل ص١١٠ ح٤.

فعملية الإيجاد عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ للأشياء مرت بمرحلة الصنع، وهي مرحلة ابتداع المادة الأولى (المشيئة) لا من شيء كان قبلها.[١]

ثم جاء بعدها مراحل الخلق (خلق الأشياء من تلك المادة المبتدعة أو المخترعة): مرحلة خلق الحصص النوعية، مرحلة خلق الحصص الجزئية.. إلخ.

ولذا قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[٢].

فالخلق مر بمراحل متعددة، وسبقته مرحلة إبداع؛ ولذا قال: خلقكم، ولم يقل صنعكم؛ لأن عملية الإيجاد إذا دخل عليها الإبداع (أو الإختراع) يسمى فعلها صنع، وفاعل صانع، ومفعولها مصنوع.

أما إذا لم يدخل عليها الإبداع، وتمت بمادة أخذت من شيء كان قبلها، فيسمى فعلها خلق، ويسمى فاعلها خالق، ومفعولها مخلوق.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (فإن الله سبحانه كان ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه، ثم إبتدع ما شاء، فكان أول فائض عنه الإبداع، وهو عالم المشيئة، خلقه بنفسه لا من شيء، ولا لشيء، وليس بينه سبحانه وبن إبداعه ومشيئته شيء غيرهما). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٥٤].

(٢) سورة نوح: (١٤).

وعلى ذلك..

فالله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الصانع، الخالق.. إلخ.

أما غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ فعملية الإيجاد عنده لا تمر بمرحلة الصنع (الإبداع) أبداً؛ وإنما تمر بمراحل إيجاد مفتقرة إلى مادة مصنوعة من شيء كان قبلها.

فتحتاج إلى أخذ الخشب من الشجر لتصنع الباب، وإلى أخذ الحديد من المعدن لتصنع السيارة.. إلخ.

ولذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي﴾[1]، فقال تخلق، ولم يقل تصنع، لأن عملية إيجاد الطير التي قام بها نبيه عليه السلام لم تتم بمادة مبتدعة؛ بل كانت بمادة أخذت من الطين.[2]

ولعلك تسأل الآن..

---

(١) سورة المائدة: (١١٠).

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إن الصانع إذا أراد أن يصنع شيئاً لابد له من مادة يصنع منها الشيء، فغير الله سبحانه يأخذ مادة مطلوبه مما صنع الله ﷻ. وأما الله سبحانه فلم يكن عنده في ملكه شيء إلا ما صنعه، فإذا أراد أن يخلق خلقاً، خلق مادة ذلك المخلوق، وصنعه من تلك المادة، كالكاتب فإنه يصنع المداد أولاً، ثم يكتب منه ما شاء، فالخلق الأول: هو صنع المادة. والخلق الثاني: هو الصنع من تلك المادة، كما مثلنا). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٣٤٥].

هل يمكن أن نطلق كلمة الخلق على عملية الإيجاد التي يقوم بها غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ؟!

كعملية الإيجاد التي يقوم بها الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام، وأنا وأنت.. إلخ.

بالطبع يمكن ذلك.. ولكن ليس من باب الحقيقة الحقية.

فقد قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾[1]، وقال: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[2].

ونحن دائماً ما نقول في محاوراتنا: "خلق فرصة عمل جديدة"، "خلق أجواء طيبة"..[3]

ولكن.. لا يمكن أن نطلق على عملية الإيجاد التي عند غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالصنع، ولا على فاعلها بالصانع (إلا من باب المسامحة...)؛ لأنها خالية من الإبداع.

---

(١) سورة آل عمران: (٤٩).

(٢) سورة العنكبوت: (١٧).

(٣) ومع ذلك يمتاز مفهوم الخلق بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ وغيره بمزايا وخصوصيات مختلفة، وهذا هو المتبادر إلى الأذهان، وإن أمكن استخدام كلمة الخلق لغير الله.

حسناً..

لعلك تقول الآن:

ماذت نستفيد من شرح عبارة الشيخ أحمد الأحسائي؟

أولاً: دقة التعبير وعمقه في كلماته!

فهو لم يقل: إن الشيء إما خالق أو خلق أو مخلوق[١]، وإنما قال: إن الشيء إما صانع أو صنع أو مصنوع؛ لأنه كان يقسم المفاهيم الأولية الكلية التي تبدأ بها قسمة الشيء، أما المفاهيم الجزئية لباقي الأشياء فتندرج تحتها (إن وجدت في كل قسم وإلا فلا[٢]).

وثانياً: هناك فرق بين هذه الأشياء الثلاثة في كل شيء.

ومنها الوجود..

---

(١) يمكن استخدام هذا التقسيم في المرحلة التي تلي الإبداع أو الإختراع، إي: في المراحل الجزئية التي تلي عملية الإيجاد الكلية (في وجوه المشيئة، أو قل في مفعولاتها).. أما في عملية الإيجاد الأولى للأشياء فلا نستطيع ذلك (لأن المشيئة واحدة في نفسها، متعددة بلحاظ مفعولاتها).

(٢) لا يوجد هناك شيء يندرج تحته قسم واجب الوجود ـ سبحانه وتعالى ـ لأن الصانع فرد أحد صمد لم يلد ولم يولد، وليس هناك شيء يندرج تحت قسم الصنع؛ لأن صنعه ـ سبحانه وتعالى ـ واحد وإلا لتشابهت الأشياء.. وإنما كل شيء (كل مفهوم جزئي) يندرج تحت قسم مصنوعاته.. لأن وجودات هذه الأشياء الثلاثة (الصانع، الصنع، والمصنوع) تختلف تماماً، كما سيأتي.

فوجود الصانع يختلف عن وجود الصنع وعن وجود المصنوع، ووجود الصنع يختلف عن وجود الأول والثالث، ووجود المصنوع يختلف عن وجود الأول والثاني.

كما يختلف وجودك عن وجود الخشب ووجود الباب.

فأنتم الثلاثة لا تشتركون في الوجود الحقيقي بتاتاً.. أليس كذلك؟

فإن لوجودك خصوصيات تختلف عن خصوصيات وجود الخشب، ولوجود الخشب خصوصيات تختلف عن خصوصيات وجود الباب.. وهذا الأمر لا يبدو عجيباً، لو فكرت فيه قليلاً ستجد أنه من الأمور البديهية التي يؤمن بها الجميع.

وهذه النقطة تبين لنا رأي الشيخ أحمد الأحسائي في نظرية الوجود:

فإنه لا يعتقد بوحدة الوجود؛ أي: بالوجود الواحد لكل الأشياء، والاختلاف بينها في المراتب تشكيكاً[1]؛ وإنما يعتقد بالوجود المغاير بين الصانع، والصنع، والمصنوع[2].

هذا ما أردتك أن تستفيده من شرح تلك العبارة.

---

(١) انظر/ الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين الشيرازي ـ د. حسن: ص١٤١

(٢) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٨١-٨٩.

وهو باختصار..

إن الشيخ أحمد الأحسائي يعتقد بالإختلاف التام بين وجود الصانع، ووجود الصنع، ووجود المصنوع، ويعطي كل شيء من هذه الأشياء الثلاثة وجوداً خاصاً به[١].

وتعال معي لنتحدث عن هذه الوجودات الثلاثة بصورة مقتضبة؛ لغاية ستتضح لاحقاً..

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (اعلم: إن الوجودات ثلاثة: وجود حق، وهو الذات البحت، والكنز الخفي، واللاتعين، ومجهول النعت.. إلخ، ووجود مطلق، وهو عالم الإبداع والمشيئة والإرادة والكاف المستديرة على نفسها، والتعين الأول، والكملة التي انزجر لها العمق الأكبر.. إلخ. ووجود مقيد، وهو مجموع قوس الحروف الكونية الثمانية، التي أولها العقل الأول، وآخرها الجامع الذي هو العاقل ﷺ، فهو الأول والآخر). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٤٠].

الشيء الأول: الصانع (الله سبحانه وتعالى)

يعطيه وجوداً خاصاً به يطلق عليه بالوجود الحق.

ولا يتحدث الشيخ أحمد الأحسائي عن هذا الوجود بتاتاً؛ لأنه يعتقد بمجهولية الله ـ سبحانه وتعالى ـ المطلقة؛ وذلك لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لم يبين حقيقة ذاته أو كنهه لأحد من خلقه[1].

فلا أحد يعلم كيف هو.. كيف وجوده، علمه الذاتي، سمعه الذاتي، بصره الذاتي.. إلا هو سبحانه وتعالى.

وقد تقول الآن:

كيف لم يتحدث الشيخ أحمد الأحسائي عن الوجود الحق، وقد ملأ مصنفاته حديثاً عنه؟!

حينما تتأمل جميع العبارات في جميع مصنفاته المتعلقة بهذا الأمر؛ ستجد بأنه كان يتحدث عن العنوان فقط!

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (المجهول بحقيقة كنهه، لأنه لم يبين حقيقة كنهه لأحد من خلقه، فهو مجهول الكنه). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٤١].

وهو الوصف[١] الذي وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ به نفسه لخلقه لمعرفته؛ لأنه الدليل الدال عليه[٢].. الظاهر في تجلي أسمائه وصفاته الفعلية، وفي آياته ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان[٣].

فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ لما كان مجهولاً مطلقاً، وأمر الخلق بمعرفته بعدما أوجدهم، وصف نفسه لهم ليعرفوه؛ ولولا هذا الوصف لم يعرفه أحد من خلقه[٤].

---

(١) عن ابن عباس قال: قدم يهودي على رسول الله ﷺ يقال له نعثل فقال: يا محمد إني أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين، فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك، قال سل يا أبا عماره، فقال: يا محمد صف لي ربك، فقال ﷺ: «إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وكيف يوصف الخالق الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والابصار الإحاطة به؟ جل عما يصفه الواصفون». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٣٦ ص٢٨٣ ب ٤١ /نصوص الرسول ﷺ ح١٠٦.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (نعني بالوجود الحق؛ الوجود الواجب، المقدس عن كل ما هو سواه، ومن جملة ما هو مقدس عنه إطلاق العبارة عليه، فإذا أطلقت عليه العبارة تقع على العنوان، أعني: الدليل عليه، وهو ما أوجده الله تعالى من وصفه لعباده، وهو ـ أي: ذلك العنوان الذي هو الوصف ـ ليس كمثله شيء). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٣٠].

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إلا أن العنوان لمظاهره، ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٥٤].

(٤) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أنه تعالى لما كان هو الأزل، وجب أن يكون ما سواه غير الأزل، وغير الأزل ممكن، ولما ثبت أن غيره لا يساويه، ولا يصل إليه؛ وجب أن لا يعرف غيره لذاته، فإذا كان كذلك وأراد أن يعرفه عباده، وصف نفسه لهم، لأنهم لم يصلوا إليه، ولم يدركوه، ولم يروه ليعرفوه، وإنما يعرفوه بذلك الوصف، الذي وصف نفسه به؛ لأنه هو الذي يُعرِّف نفسه). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٥٦].

فكل عبارات الشيخ أحمد الأحسائي تعود إلى هذا العنوان الذي يدل عليه ـ سبحانه وتعالى ـ دلالة تعريف واستدلال ؛ لا دلالة كشف عن حقيقة ذاته أو كنهه.

ولو وجدت الأمر صعباً ؛ فتأمل معي هذا المثال :

لو اشتريت يوماً ما جهازاً معيناً.. وصانعه مجهول لديك!

فأنت لا تعلم :

من هو.. من صنع هذا الجهاز؟

وأين هو.. في أي بلد يعيش صانعه؟

وكيف هو.. هل صانعه أسمر البشرة، أم أبيض البشرة؟

وهكذا.. باتت جميع الطرق التي تقودك إلى معرفة صانعه مستحيلة، وأنت تؤمن بالبداهة أن هذا الجهاز لم يوجد بنفسه، بل هناك صانع صنعه.

فما هو الشيء الذي يمكنه أن يدلك الآن على وجود صانعه، وعلى معرفته؟

بالطبع.. إنه الجهاز الذي بين يديك ؛ فهو أثر يدل على وجود مؤثر له.. وكذلك الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُستدل على وجوده بوجود آياته ؛

كما يستدل على وجود صانع هذا الجهاز بوجود صنعه الذي بين يديك.

ولما شاهدت دقة الصنع في هذا الجهاز، وبراعة تركيب قطعه، وجمال شكله.. دلك ذلك على معرفة صفات صانعه، فقلت: بأنه ماهر، بارع.. إلخ.

وهكذا لما شاهدنا دقة الصنع في مصنوعات الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وجمال الأشياء المصنوعة وتنوعها.. وصفناه ـ سبحانه وتعالى ـ: بأنه مبدع، حكيم، جميل.. إلخ.

وبالنتيجة.. فإن هذا الجهاز لم يدلك على كنه أو ذات صانعه؛ بل دلك على وجوده ومعرفته فقط.. كما دلك العنوان على ذلك[1].

---

(١) إذا فهمت هذا المثال ستفهم المثال الحكمي للشيخ أحمد الأحسائي في هذا الأمر: (ومعنى فهو المعلوم والمجهول.. إلخ، أنه المعلوم بصنعه، والمجهول بكنهه، الموجود بآياته، المفقود بذاته؛ يعني يستدل على وجوده بصنعه؛ لأن صنعه أثر فعله، والأثر يدل على المؤثر، ويستدل على وصفه ـ الذي تعرف به لخلقه ـ بما أظهره في صنعه من الآيات الدالة على ذلك، كما قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾.[سورة فصلت: (٥٣)]، فكما أن هيئة الكتابة تدل على صفة حركة يد الكاتب، كذلك صفات خلقه وهيئاتهم تدل على صفة فعله تعالى؛ لأنها أثر فعله، والأثر يشابه صفة مؤثره التي بها صدر، فمعلوميته بآثار فعله. كما أن الدخان المرئي يدل على وجود النار، ومجهوليته من حيث كنهه؛ لأن كل ما سواه مغاير له من كل جهة، وتلك المغايرة رسم لما سواه، فهو موجود بآياته، لأن كل من نظر وجد آيات تدل على موجدها حيثما توجه، ومفقود من حيث ذاته؛ لكون كنهها تفريقاً بينه وبين ما سواه، فلا يوجد من حيث ذاته، ولا يفقد من حيث آثار فعله). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٦٣].

الشيء الثاني: الصنع (فعله سبحانه وتعالى)

ويعطيه كذلك وجوداً خاصاً به يطلق عليه بالوجود المطلق[١].

وهو وجود مشيئته[٢]..

أول صادر خُلق بنفسه لا من شيء كان قبله[٣]، ومكانه الإمكان الراجح، ووقته السرمد[٤].

وقد تحدثت لك سابقاً عن الفعل أو المشيئة (المادة الأولى المبتدعة لا من شيء كان قبلها).

فلا حاجة لإعادة الكلام هنا..

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (الوجود المطلق: هو فعل الله سبحانه، وهو الإبداع والإختراع والإرادة والمشيئة، وهذا ظاهر). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٣١١].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (المشيئة التي هي الفعل، إذا لا مشيئة لله غير فعله، لأنه تعالى لا يفكر ولا يهم ولا يتروى). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٣١١].

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (المشيئة: هي الذكر الأول، يعني أن الفاعل إذا أراد صنع شيء، أول ما يذكره وتتوجه إليه العناية، هو المشيئة). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٨٢].

(٤) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (المشيئة والإختراع والإرادة والإبداع، وما تحتها من أفعاله ﷻ، مكانها الإمكان الراجح المطلق، والعمق الأكبر المطلق، ووقتها السرمد، ويعبر عنها بالوجود المطلق؛ أي: غير المقيد، بمعنى: إنه لم يتوقف في وجوده وإيجاده على شيء غير نفسه). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٠٨].

الشيء الثالث: المصنوع (ما سوى الله سبحانه وتعالى)

ويعطيه كذلك وجوداً خاصاً به يطلق عليه بالوجود المقيد[١].

وهو وجود مصنوعاته المتوقف وجودها على شيء قبلها.. أي: التي أوجدها بفعله، فهي آثار فعله (مفعولاته).

ومكانها الإمكان الجائز[٢]، ووقتها الدهر والزمان[٣]، وأولها الماء[٤]، النور[٥]، نور النبي محمد ﷺ[٦].. العقل[٧]، وآخرها الثرى.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وجود مقيد، وهو المفعول من الدرة إلى الذرة). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١١].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وعالم الجواز: وهو الوجود المقيد.. وهو جميع المفعولات التي أحدثها الله سبحانه بفعله، ويسمى هذا الوجود بالوجود المقيد؛ لتوقف قبوله للإيجاد على شيء آخر وجودي أو عدمي، أو هما معاً). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١١].

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما متعلقات هذه الأفعال الكونية، فوعاؤها الدهر والزمان، والبرزخ المؤلف منهما). [الرسالة الوعائية الشيخ أحمد الأحسائي: ص٢٨].

(٤) كما في قولهم عليه السلام: «أول ما خلق الله الماء». [عيون أخبار الرضا ـ الشيخ الصدوق: ج١ ب/١١ في وقوف الأئمة... ص١١٠ ح٣٣].

(٥) كما في قولهم عليه السلام: «أول ما خلق الله النور». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج١ ك/ العقل والعلم والجهل ب ٢/ حقيقة العقل وبدء خلقه ص١٠٥].

(٦) كما في قوله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٢٥ ص٢٢ ب ١/ بدء أرواحهم وطينتهم عليهم السلام وأنهم من نور واحد ح٣٨].

(٧) كما في قوله ﷺ: «أول ما خلق الله العقل». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج١ ص٩٧ ب ٢/حقيقة العقل وكيفية وبدء خلقه ح٧].

لعلك ـ عزيزي القارئ ـ تقول الآن:

ما علاقة كل هذا الكلام في تحديد مكان عالم هورقليا؟

لا تخف.. فنحن لم نخرج من صلب الموضوع؛ وإنما كنا نفتش عن عالم هورقليا بطريقة أصورها لك بالتالي:

لنعد إلى مثالنا السابق، وهو تحديد مدينة ما على الخارطة الجغرافية.. وتخيل لو أن عالم هورقليا هو تلك المدينة، وأنا وأنت أردنا أن نحدد مكانها على الخارطة، فسوف نبدأ أولاً بتحديد القارة التي تقع فيها؛ وهذا يتطلب استقراء جميع القارات حتى نصل إلى المطلوبة منها.. أليس كذلك؟

ما مر هو هكذا!

لقد كنا نستقراء القارات، أو دوائر الوجود لنصل إلى الدائرة الوجودية التي يقع فيها عالم هورقليا.

ومما سبق.. نستطيع أن ندرك أن عالم هورقليا لا يقع في دائرة الوجود الحق الخاصة بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، ولا في دائرة الوجود المطلق الخاصة بفعله؛ وإنما يقع في دائرة الوجود المقيد الخاصة بمصنوعاته؛ لأن هذا العالم ليس صانع، وليس صنع؛ وإنما هو مصنوع.

وهكذا تقدمنا خطوة واحدة في تحديد مكان هذا العالم، واكتشفنا بأنه يقع في دائرة الوجود المقيد؛ كما لو أننا قد تقدمنا خطوة في تحديد مكان تلك المدينة، واكتشافنا القارة التي تقع فيها.

والخطوة التي يجب أن نفعلها الآن.. هي البحث عن عالم هورقليا بين العوالم الإلهية في دائرة الوجود المقيد؛ فهناك عوالم عديدة في هذه الدائرة الوجودية، كما أن هناك مدن كثيرة في القارة الواحدة.

وهذا يتطلب منا الحديث عن العوالم الإلهية في قوس النزول وقوس الصعود.. ثم عن دائرة الوجود المقيد التي تضم جميع تلك العوالم.

فتعال معي لنتحدث عن ذلك.. ونكتشف مكان عالم هورقليا.

العوالم الإلهية في قوس النزول وقوس الصعود
في دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي

لقد تحدث الشيخ أحمد الأحسائي عن العوالم الإلهية في قوس النزول وقوس الصعود ـ داخل دائرة الوجود المقيد ـ بطرق مختلفة، وبأساليب متعددة[1].

ولو قمتُ ببيان أحد تلك الطرق بأحد الأساليب التي ذكرها، فسوف أحتاج إلى شرح العديد من النقاط الحكمية (الفلسفية) حتى أستطيع توضيح ما يريده منها بدقة؛ فلا يخلوا كلامه من المصطلحات الغامضة بعض الشيء، والعبارات التي قد تجعلنا نشت عن مسارنا، ونبتعد كثيراً عن غايتنا.

ولأجل ذلك..

ارتأيت البيان بطريقة تتضمن نفس المعنى، وبأسلوب يجعلك تنجذب إلى الحديث بيننا بصورة أكثر إهتماماً.. وهي كالتالي:

---

(١) انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٧ـ٥٢.

دعنا نبدأ من هذا العالم (عالم الدنيا)، وبالتحديد من هذه اللحظة التي تمسك فيها بهذا الكتاب ـ الذي بين يديك ـ.

كم هو التاريخ اليوم؟

من المؤكد بالأمس كان هناك أناس يعيشون معنا في هذا العالم، واليوم رحلوا (ماتوا).. أليس كذلك؟

حسناً..

قبل سنة، قرن، قرنان.. هل كان هناك أناس يعيشون في هذا العالم ورحلوا أيضاً؟

بالطبع.. نعم.

فكر في الأمر بهذه الطريقة؛ حتى تصل إلى بداية العصر الذي نعيش فيه الآن، وهو عصر الغيبة الكبرى.

ولنختبر معلوماتك قليلاً..

قبل عصر الغيبة الكبرى أي العصور كان؟

عصر الغيبة الصغرى.. عصر السفراء الأربعة: عثمان بن سعيد العمري، محمد بن عثمان العمري، الحسين بن روح النوبختي، علي بن حمد السَمُري.

استمر بالتفكير وأنت تنتقل تصاعدياً من عصر إلى آخر..

قبل عصر الغيبة الصغرى كانت عصور الأئمة عليهم السلام، ثم عصر النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم (عصر النبوة).

وقبل ذلك كانت عصور الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ نبي الله عيسى، يحيى، زكريا.. نوح، إدريس، آدم ـعليهم السلامـ.

توقف عند نبي الله آدم عليه السلام!

وأسمح لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة في هذه النقطة لغاية ستأتي لاحقاً:

حاول أن تفكر فيها قبل أن تقرأ الإجابة..

ـ أين خلق نبي الله آدم عليه السلام؟

جميع الذين كانوا ـ ومازالوا ـ في هذا العالم خلقوا[1] على أرضه؛ إلا نبي الله آدم عليه السلام!

فهناك الكثير من النصوص الوحيانية التي تشير إلى أنه لم يخلق على هذه الأرض؛ وإنما خلق في جنة تقع في نظام عالم يختلف عن نظام عالم الدنيا، وبعد ذلك أهبط منها إلى أرضنا!

(١) أقصد بالخلق: الولادة الدنياوية.

كما قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ۞فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾(١).

إن هذه الإجابة تقودنا إلى تساؤلات أخرى، ومنها:

ـ هل كانت الأرض مخلوقة قبل نبي آدم عليه السلام؟

ـ وهل كان هناك مخلوقات تعيش عليها؟

ـ وكيف كانت طبيعتها آنذاك؟

من المؤكد أن الأرض كانت مخلوقة قبل أن يهبط نبي الله آدم عليه السلام عليها.. والدليل وجود المخلوقات التي أشارت الملائكة عليهم السلام إلى فعلها؛ حينما أخبرهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ بتنصيب آدم عليه السلام خليفة في الأرض، كما جاء في قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: (٣٥ـ٣٦).

(٢) سورة البقرة: (٣٠).

ففي بداية عالم الدنيا.. كانت تعيش على الأرض مخلوقات قبل جنس البشر؛ كالخلق الذين كانوا على هيئة البقر، وكالسلاحف، وكالطير المسمى بالقرا.

لعلك تفكر الآن في الديناصورات التي عاشت قبل آلاف السنين، ويثبت وجودها علماء الجيلوجيا من خلال الأحافير التي عثروا عليها!

أياً كانت حقيقة تلك المخلوقات، فلا يهمنا سوى الوصول إلى وجود من كان يعيش قبلنا على هذه الأرض.

ثم جاء بعد أولئك الخلق الجان والنسناس.. وبعد ذلك أهبط نبي الله آدم عليه السلام.[1]

وجميع تلك المخلوقات التي كانت على الأرض في بداياتها ـ وحتى نبي الله آدم عليه السلام ـ لم تكن تعيش في طبيعة كثيفة كطبيعتنا؛ بل كان لها طبيعة لطيفة.

ولذا تمتعت بخصائص زمانية تختلف عن خصائص زماننا، ومنها: طول الأعمار، وخفت الأجساد.. إلخ.

---

(١) انظر/ بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٤ ص٣١٦ـ٣٢٩ أبواب/ كليات أحوال العالم وما يتعلق بالسماويات، ب ٢/ العوالم ومن كان في الأرض قبل خلق آدم عليه السلام ومن يكون فيها.

ولعلك تسأل الآن:

لماذا اختلفت الطبيعة بيننا وبينهم؛ بالرغم من أننا نعيش جميعاً على أرض عالم واحد (عالم الدنيا)؟[١]

كانت طبيعة الأرض في بداية خلقها لطيفة بسبب نظامها الكوني المعتدل.. وللعلاقة الوطيدة بين الذنوب وحركة الفلك[٢] أخذت

(١) سئل الشيخ أحمد الأحسائي عن أمر وجود مخلوقات في بداية الزمان قبل نبي الله آدم عليه السلام، وكيف كانت طبيعة الزمان آنذاك، فقال: (نعم، كان قبل آدم أبينا عليه السلام خلق كثير في الأرض كما ذُكر في الأخبار؛ كالخلق الذين على هيئة البقر، وكالسلاحف، وكالطير المسمى بالقرا وغير ذلك، ولكنهم وإن كانوا في هذه الأرض لكنها قبل أن تتكثف، بل في حال بساطتها؛ لأن أولئك الخلق ليسوا من بشر التراب، وإنما هم من لطيف ذلك، وهم برزخ بين الأشباح، وبعد أولئك النسناس والجان، وهم برزخ بين أولئك الخلق وبين آدم أبينا وذريته). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٥٦].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إنما تحرك الفلك بمن وكل بها من ملك، والملك تسبيحه وغذاؤه الطاعة، فإذا كان السلطان عادلاً وانتشر العدل في الرعية وكثرت طاعتهم تستريح الملائكة بذلك؛ لأن قوتهم إنما تحصل لهم بكثرة الطاعات، وبها يديرون الفلك، وإدارتهم الفلك هو نفس طاعتهم، وعين عبادتهم التي يقوون بها، فإن حصل لهم معونة من أهل الأرض بالطاعة خفت عليهم ذلك وأبطؤوا بالحركة للفلك التي هي طاعتهم التي بها حفظ النظام. وإن كان السلطان جائراً كان الجور مفسداً للنظام السفلي، كما أن العدل مصلح له؛ فتسرع الملائكة بالإدارة للفلك لئلا يفسد النظام دفعة حفظاً لأصل ذلك، ويلزم من سرعة الفلك قصر الأعمال، وضيق الأرزاق، وتعسير قضاء الحوائج، وكلما اشتد عليهم ظلموا وجاروا، وكلما ظلموا وجاروا أسرعت الملائكة بالحركة، وهكذا). [رسالة في جواب بعض الأجلاء "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٧٢].

طبيعتها تنحدر تدريجياً حتى انتقلت من حيز اللطافة إلى حيز الكثافة، وستصل إلى منتهى كثافتها في أسفل عالم الزمان عندما تمتلى الأرض ظلماً وجوراً.

وهذا من القوانين الكونية العائدة إلى الأسباب والمسببات، فقد قال الإمام أبو جعفر عليه السلام: «إن الله إذا أراد فناء قوم أمر الفلك فأسرع الدور بهم، فكان ما يريد من النقصان، فإذا أراد بقاء قوم أمر الفلك فأبطأ الدور بهم، فكان ما يريد من الزيادة، فلا تنكروا فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب»[1].

فكلما زادت الذنوب زادت سرعة حركة الفلك، فأدى إلى ظهور الطبيعة الكثيفة على الأرض؛ فتقل البركة في الأرزاق، ويحبس المطر من السماء، وتنقص الأعمار.. إلخ.

فعن الأصبغ بن نباته عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا غضب الله عز وجل على أمة ولم ينزل بها العذاب، غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارها، ولم تزك ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلط عليها شرارها»[2].

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٤ ص١٢٠ أبواب تأويل الآيات والأخبار.. ب٣/ البداء والنسخ/ ح٦٢.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٧٤ ص١٥٥ أبواب المواعظ والحكم ب٧/ما جمع من مفردات كلمات الرسول صلى الله عليه وآله وجوامع كلمه ح١٢٨.

وكلما قلت الذنونب اعتدلت سرعة حركة الفلك، فأدى إلى ظهور الطبيعة اللطيفة على الأرض (طبيعتها الأولى)؛ فتنزل الخيرات، وتنفتح أبواب البركات، وتطول الأعمار.. إلخ.

فهناك من عبث بالنظام الكوني للأرض بفعلة الذنوب؛ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾[1].. وهذا ما تحدثنا به الآيات القرآنية التي تصور ما حل بالأمم السابقة من المصائب بما كسبت أيديهم من الفساد والذنوب والآثام.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خمس إذا أدركتوها فتعوذوا بالله عز وجل منهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها؛ إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصو المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلا جعل بأسهم بينهم»[2].

---

(١) سورة الروم: (٤١).

(٢) وسائل الشيعة ـ العاملي: ج١٦ ص٢٧٢ ك/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ب٤١/تحريم التظاهر بالمنكرات ح١ (٢١٥٤٩).

والنتيجة..

إن لعالم الدنيا طبيعة لطيفة (طبيعة الأرض الأولى) في بدايته (في عالم الملك العلوي)، وطبيعة كثيفة في نهايته (في عالم الملك السفلي).. وأخذت طبيعتها الأولى تنحدر من لطافتها شيئاً فشيئاً حتى دخلت في حيز الطبيعة الكثيفة.. وستعود إلى لطافتها في عصر الظهور[1].

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي ـ في جواب سؤال: ما الوجه في أن الإمام عليه السلام لا يظهر حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً ـ: (أقول: الوجه في أن الإمام عليه السلام لا يظهر حتى تمتلئ الأرض جوراً وظلماً، أن الدنيا آخرها قيامه عليه السلام؛ لأن الأيام ثلاثة، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، يوم الدنيا، ويوم الرجعة، ويوم الآخرة، أو يوم قيام القائم عليه السلام، ويوم الرجعة، ويوم القيامة، والحاصل: إن هذه الدنيا ظهرت على اعتدال استدارة الفلك، فلما كانت دولة الباطل تغيرت الحركة واشتد الباطل فأسرع الفلك وصار كل واحداً مقتضياً للآخر، ولِمَا بعده، يعني أن الظلم الواقع أمس أسرع بحركة الفلك أمس، والظلم الواقع اليوم يسرع بحركة الفلك اليوم هو والواقع أمس، فتكون الحركة اليوم أسرع لوجود مقتضيين أمس واليوم؛ لأن الظلم الذي لا ينتقم لا يرتفع سببه، وكلما أسرع الفلك قصرت الأعمال وتعسرت الأمور وقضاء الحوائج واشتدت الحال، ويعظم الجور والظلم وهكذا، لأن الظلم يستجلب الغضب، وهو يحدث سرعة حركة الذي غضب، ولما كان الجبار جل وعلا لا يتداخله شيء ظهرت آثار الغضب في الأسباب، وذلك يقتضي سرعة حركة الفلك، ولا يزال يتضايق إلى نقطة حينئذٍ لا تبقى ذرة في الأرض خالية من الظلم فهناك يأتي تأويل قوله تعالى: ﴿يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيب﴾، فيخرج عجل الله فرجه عند التقاء خطي الدنيا.. فيأخذ الخطان في الانفراج.. فيتأنى الفلك في حركته، فتطول الأعمار، وتتيسر الأمور وقضاء الحوائج، وتجري المطالب على إرادة المؤمنين حتى تكون السنة قدر عشر سنين من هذا الزمان، وذلك لعلة ظهور حلم الله وأناته في الأسباب والمسببات).[الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٤٥٩ـ ٤٦٢].

أتمنى أن يكون الأمر واضحاً لديك الآن ؛ لأننا سنبني على ذلك العديد من الأمور لاحقاً.

وتبقى لدي سؤال أخير في هذا الموضوع، وهو:

هل هناك عوالم أخرى غير عالم الدنيا (عالمنا) والعالم الذي توجد فيه الجنة التي خلق فيها نبينا آدم عليه السلام؟

إنه السؤال الذي حيرَّ أجيالاً من البشر على مر العصور.. لكنك على وشك معرفة إجابته بعد قليل!

لطالما حدثتنا الآيات والروايات الشريفة عن عالم الغيب، ذلك العالم الذي يختلف ـ أيضاً ـ نظامه عن نظام عالمنا ؛ ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

وحتى يتم التفريق بينه وبين عالم الدنيا استخدم عدداً كبيراً من المصطلحات (أو المسميات) في العلوم، ومنها:

عالم الغيب وعالم الشهادة، عالم المجردات وعالم الماديات، عالم الملكوت[2] وعالم الملك، عالم الدهر وعالم الزمان.. إلخ.

---

(١) سورة الحج: (٤٧).

(٢) قد يراد بعالم الملكوت المعنى المرادف له وهو عالم الغيب، وقد يراد به عالم جزئي في عالم الدهر، وهو عالم النفوس كما سيأتي.

وهذه المصطلحات وإن كانت للتفريق وبيان الإختلاف بين هذين العالمين ؛ إلا أن لكل واحد منها مراد وخصوصية تختلف عن الآخر في حين الإستعمال عند أهل الفن.

فمثلاً..

مصطلح عالم الدهر وإن كان يرادف مصطلح عالم الغيب من جهة، إلا أنه من جهة أخرى يستخدم للدلالة على تلك العوالم الجزئية الواقعة في داخله.

كما يستخدم مصطلح عالم الزمان للدلالة على مافيه من العوالم ؛ كعالم الأرحام، وعالم الطفولة، وعالم الصبا، وعالم الكهولة.. إلخ.

ودعنا نلقي نظرة سريعة على تلك العوالم الواقعة في عالم الدهر.. أذكرها مرتبة تصاعدياً إلى أن نصل إلى النقطة الأولى في دائرة الوجود المقيد.. فلتفت جيداً إلى هذا الأمر.

هل تتذكر..

لقد تحدثنا عن عالم الزمان (عالم الدنيا)، وقلنا أن قبله يأتي عالم الجنة التي خلق فيها نبي الله آدم عليه السلام.

وقبل عالم الجنة هذا.. يأتي آخر عوالم عالم الدهر.

وهو عالم الطبيعة الذي كسرت فيه حصص مواد جميع المخلوقات، ومزج بعضها ببعض[١]، وأرجعوا بعد ذلك إلى الطين[٢].

وهذا العالم هو الذي تتحدث عنه روايات اختلاط الطينة، التي تبين علة حصول المعصية من المؤمن والحسنة من الكافر (اللطخ).

كما روي عن عثمان بن يوسف قال: أخبرني عبد الله بن كيسان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك أنا مولاك، عبد الله بن كيسان.

«قال: أما النسب فأعرفه، وأما أنت فلست أعرفك. قال: قلت له: إني ولدت بالجبل، ونشأت في أرض فارس، وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق وكثرة أمانة، ثم أفتشه فأتبينه عن عداوتكم. وأخالط

---

(١) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٧٤ـ١٧٥.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وهذا الطين: هو طين الطبيعة، الذي يجمد ويكون مادة، لا الطين الذي ورد في الأخبار فيه أنه منشأ السعادة والشقاوة؛ لأن المراد به الصورة التي هي الإجابة، وصورة الإنكار حين قال تعالى لهم: ﴿ألست بربكم﴾. [الأعراف: (١٧٢)]، فأخبار الطينة التي وردت وحصل فيها لكثير من الناس الإشكال، واردة في الطينة التي هي صورة الإجابة والإنكار). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٧٦].

الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وزعارة، ثم أفتشه فأتبينه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟

فقال لي: أما علمت يا بن كيسان أن الله ﷻ أخذ طينة من الجنة، وطينة من النار، فخلطهما جميعاً، ثم نزع هذه من هذه، وهذه من هذه. فما رأيت من أولئك من الأمانة وحسن الخلق وحسن السمت فمما مستهم من طينة الجنة، وهم يعودون إلى ما خلقوا منه، وما رأيت من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة فمما مستهم من طينة النار، وهم يعودن إلى ما خلقوا منه»[(١)].

وقبل عالم الطبيعة عالم الملكوت (عالم النفوس) الواقع في وسط عالم الدهر.. وفيه ألبست هيولى المخلوقات صورها الجوهرية المجردة[(٢)] المتنزلة من النفس الكلية المتنزلة من العقل الكلي[(٣)].

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني: ج٢ ص٤ ك/الإيمان والكفر ب/طينة المؤمن والكافر ح٥.

(٢) حينما يقول الشيخ أحمد الأحسائي بالتجرد في الدهر لا يقصد بذلك التجرد التام؛ لأنه يرى ألا مجرد إلا الله ـ سبحانه وتعالى؛ وإنما يريد به التجرد من المادة العنصرية والمدة الزمانية ـ لا من الصورة النفسية ـ في عالم النفوس، وعن المدة الزمانية والمادة العنصرية والصورة النفسية والمثالية أيضاً في عالم العقول. [انظر/ شرح المشاعر ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٥٩. شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٢٠ـ٢١].

(٣) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩٢.

وبين عالم الملكوت وعالم الطبيعة هناك عالم برزخي يطلق عليه بعالم جوهر الهباء[١]، ويسمى أيضاً بعالم الذر.. وفيه وجه الخطاب إلى المخوقات بالتكليف: ألست بربكم، محمد ﷺ نبيكم، علي عليه السلام وليكم؟!

فانقسمت المخلوقات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: وهم المؤمنون الذين قالو (بلى) بلسانهم وقلوبهم؛ فخلقهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من طينة الطاعة، طينة عليين.

القسم الثاني: وهم الكفار والمنافقون الذين قالوا: (بلى) بألسنتهم حينما سألوا: ألست بربكم؟ وتوقفت قلوبهم حينما سألوا: ومحمد نبيكم؟؛ فخلقهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من طينة المعصية، طينة سجين.

فعن الإمام السجاد عليه السلام قال: «إن الله عزوجل خلق النبيين من طينة عليين: قلوبهم وأبدانهم، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة، وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك، وخلق الكفار من طينة سجين: قلوبهم وأبدانهم، فخلط بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن

(١) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩٣.

الكافر ويلد الكافر المؤمن، ومن ههنا يصيب المؤمن السيئة، ومن ههنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه، وقلوب الكافرين تحن إلى ما خلقوا منه»[١].

القسم الثالث: وهم المستضعفون الذين قالوا (بلى) بلسانهم، وتوقفت قلوبهم من دون أن يجحدوا؛ فخلقهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من طينة البرزخ، وهي طينة من بين الطينتين؛ أي: جزء منها من طينة عليين، وجزء منها من طينة سجين.

فعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «الطينات ثلاث: طينة الأنبياء، والمؤمن من تلك الطينة؛ إلا أن الأنبياء هم من صفوتها هم الأصل ولهم فضلهم، والمؤمنون الفرع من طين لازب كذلك، لا يفرق الله عز وجل بينهم وبين شيعتهم.

وقال: طينة الناصب من حمأ مسنون. وأما المستضعفون فمن تراب، لا يتحول مؤمن عن إيمانه، ولا ناصب عن نصبه، ولله المشيئة فيهم»[٢][٣].

---

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني: ج٢ ص٢ ك/ الإيمان والكفر ب/طينة المؤمن والكافر ح١.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٦٤ ص٦٤ ب٣/ طينة المؤمن وخروجه من الكافر وبالعكس.. ح٧.

(٣) شرح الفوائد ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٦٥ـ١٦٦.

ولعلك تسأل هنا:

كيف تم سؤال المخلوقات في هذا العالم وقد كانوا ذراً؟

لقد جعل لهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ القدرة على التمييز والأختيار بين القبول والإنكار.

فقد روي عن أبي بصير أنه قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: كيف أجابوا وهم ذر؟ قال: «جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعني في الميثاق»[١].

وقبل عالم الملكوت أول عوالم الدهر، وهو عالم الجبروت (عالم العقول)..

وفيه خلقت هيولى المخلوقات (المادة الجوهرية) من أول صادر[٢] من الفعل وهو العقل الكلي[٣] (نور النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم)؛ كل بحسب رتبته في سلسلة الخلق الطولية:

---

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني: ج٢ ص١٢ ك/الإيمان والكفر ب/فطرة الخلق على التوحيد ح١.

(٢) أول صادر = أول مفعول = أول أثر للفعل في عالم المشيئة الكونية.

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (فإن العقول مبدؤها العقل الكلي، والعقل الكلي مبدؤه نور الأنوار؛ أعني: حقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وحقيقة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بُدِئت عن فعل الله عز وجل لا من شيء). [الرسالة الإعتبارية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص١٠٩ـ١١٠].

فمنهم من خلق منه كالضوء من الضوء، وهم أهل بيته عليهم السلام، ومنهم كالشعاع من الضوء كالأنبياء عليهم السلام، ومنهم كالشعاع من الشعاع كمؤمنين الأنس.. إلخ.[١]

وبين عالم الملكوت وعالم الجبروت برزخ يطلق عليه بعالم الرقائق (عالم الأرواح)[٢].

وقبل عالم الجبروت.. نور الأنوار[٣]، الماء، الوجود، نور النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم[٤] (الحقيقة المحمدية)[٥].

---

(١) تحدث الشيخ أحمد الأحسائي عن السلسلة الطولية لخلق الخلق في الكثير من كتبه. انظر/ شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١٥٩.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وبين الجبروت والملكوت برزخ، وهو عالم مثل الصورة المجردة عن المادة، وهو عالم الرقائق الروحية). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٥٤]. الشيخ في هذه العبارة قال: (وبين الجبروت والملكوت)، ونحن في بياننا قلنا: (وبين الملكوت والجبروت)؛ لماذا؟ لأنه يسير تنازلياً، ونحن نسير تصاعدياً.

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأعلاه نور الأنوار، والنور الذي تنورت منه الأنوار، وهو الماء الذي منه كل شي.. وجميع الأشياء اشتقها عز وجل بقدرته من إشراقات نور الأنوار، وإشراقات إشراقاته، وإمداداته، وإمدادات إمداداته، ولم يخلق شيئاً من الأشياء من ذات نور الأنوار صلى الله عليه وآله وسلم قط). [الرسالة الإعتبارية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٩٤].

(٤) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إن الماء الأول، الذي هو أول صادر من المشيئة الكونية، وهو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الوجود، والعنصر الذي منه خلق الله كل شيء، أي: من شعاعه، وبه حَي كل شيء، لأنه الماء). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩٠].

(٥) علك تسأل: كيف يكون النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو العقل الكلي مرة، وهو نور الأنوار مرة أخرى؟ سوف يأتي بيان ذلك في المطلب القادم.

عزيزي القارئ.. ما رأيك في الكلام السابق؟

علك وجدت فيه بعض الصعوبة.. أليس كذلك؟[١]

لا بأس، سنتحدث في الموضوع القادم عن دائرة الوجود المقيد، وسيتضح لك كل شيء مر هنا.[٢]

فقد تعمدت فعل ذلك لأمر أريده منك!

فهل تريد أن تعلم ما هو؟

تعال معي لتكتشف ذلك..

---

(١) تعتبر المسائل المتعلقة بالعوالم الإلهية من أصعب المسائل الحكمية وأدقها، وفهمها في منهج حكمة الشيخ أحمد الأحسائي يحتاج إلى آلة أبعد من آلة التدقيق في الألفاظ والعبارات، ولذا لما سئل من قبل السيد أبي الحسن الجيلاني في العلم، كان يتوقف على فهم هذه المسألة فهم تلك العوالم (السرمد، الدهر، الزمان)، فقال له في مقدمته رسالته: (أما بعد: فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي: إنه قد سأل سيدنا الأكرم عن مسألة عويصة في العلم، وجوابها وكشف سرها من مخزون العلم الذي كتمه أهل العصمة عن غيرهم؛ لأنه من غامض العلم الذي لا يزيد البيان إلا غموضاً، وهو السر المعمى المنمنم؛ لتوقف معرفته على تعقل الدهر وأفراده من الزمان وأفراد السرمد منهما... ولكن يجب أن أقدم أمام ذلك وصية وهي: أوصيك أيها الناظر ألا تقف على الألفاظ والعبارات، فإن كنت تعرف الفرق بين القلب والفؤاد، والفرق بين نظرهما، واستعملت في كلامي نظر الفؤاد فزت ببلوغ المراد؛ وإلا فاقطع الخطاب، ولا تطلب الري من السراب، فإن كنت عطشاناً لهذا المورد، فقد ضرب دونه ألف حجاب، والله سبحانه الموفق للصواب). [رسالة في العلم في جواب السيد أبي الحسن الجيلاني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٣].

(٢) هناك عوالم في قوس الصعود لم أذكرها هنا، وسوف يأتي ذكرها في المطلب القادم.

دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي

عزيزي القارئ.. قل لي:

لماذا كنا نسير تصاعدياً في العوالم الإلهية في الموضوع السابق؟

لقد كنت أفعل ذلك لأمرين:

الأول: لو بدأت ببيان عوالم الوجود المقيد نزولاً من الصادر الأول إلى الأسفل لأصبح الأمر صعب الفهم.. فلقد جربت فعل ذلك مع غيرك ـ شفيهاً ـ ولم ينجح الأمر!

فبدأت من اللحظة التي كنت تمسك فيها بهذا الكتاب (يومك المحدد) وصعدت إلى أعلى.. حتى أجعل الأمر أسهل في قبوله عند الإذهان، ومشوقاً في الوقت نفسه.

الثاني: لقد فعلت ذلك من أجل أن تشاركني التفكير ولو قليلاً!

ففي المواضيع السابقة ذكرت بعض الوقائع التي حصلت في عالم الدهر والزمان.

وفي هذا الموضوع لن أعيد ذلك!!

سأقوم فقط ببيان دائرة[١] الوجود المقيد، وقوس النزول وقوس الصعود، وبعض الأمور التي لم أذكرها لك سابقاً[٢].

فحتى تفهم جيداً ما سأذكره لك هنا؛ فأنت بحاجة إلى استحضار ما تحدثنا عنه سابقاً، ومحاولة التفكير فيه.. لأننا سنسير بصورة تنازلية في دائرة الوجود المقيد، بعدما كنا نسير بصورة تصاعدية في عوالمه.

أتمنى أن تكون الفكرة قد اتضحت لك الآن..

وبما أنني وعدتك في نهاية الموضوع السابق ببيانٍ أوضح لتلك العوالم؛ فقد قمت برسم دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي.

وأصل هذه الدائرة يعود إليه، فقد رسمها في إحدى رسائله[٣].. ولكني قمت بإضافة بعض التعديلات من منهج مدرسته؛ لتساعدنا في تحديد مكان عالم هورقليا عنده.

---

(١) قلت دائرة الوجود المقيد لأن كل وجود يدور على قطبه، يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (الوجود المقيد الدائر على ذلك القطب، والقطب هو الوجود المطلق؛ لأن الوجودات ثلاثة: وجود حق، وهو الله تعالى، ووجود مطلق، وهو يدور على الوجود الحق، ووجود مقيد، وهو يدور على الوجود المطلق). لشرح عبارات الشيخ علي بن فارس وأبيات للشيخ محمد بن فيروز "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٢٨٢].

(٢) كعوالم قوس الصعود التي لم نذكرها في المطلب السابق.

(٣) رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٧.

فانظر في صورة دائرته أولاً..

ثم أنتقل إلى صورة الدائرة المعدلة حتى نبدأ حديثنا..

صورة الشيخ أحمد الأحسائي لدائرة الوجود المقيد

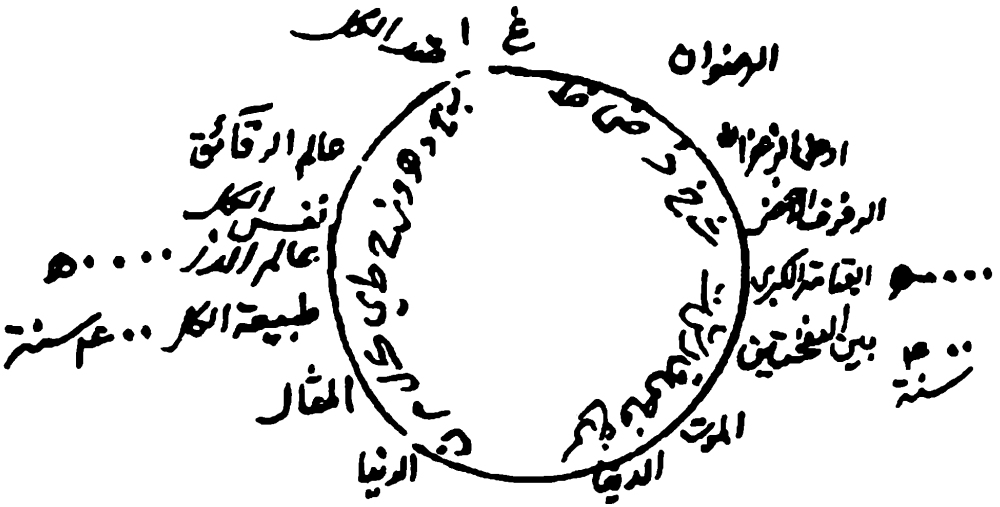

الصورة المعدلة لدائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي

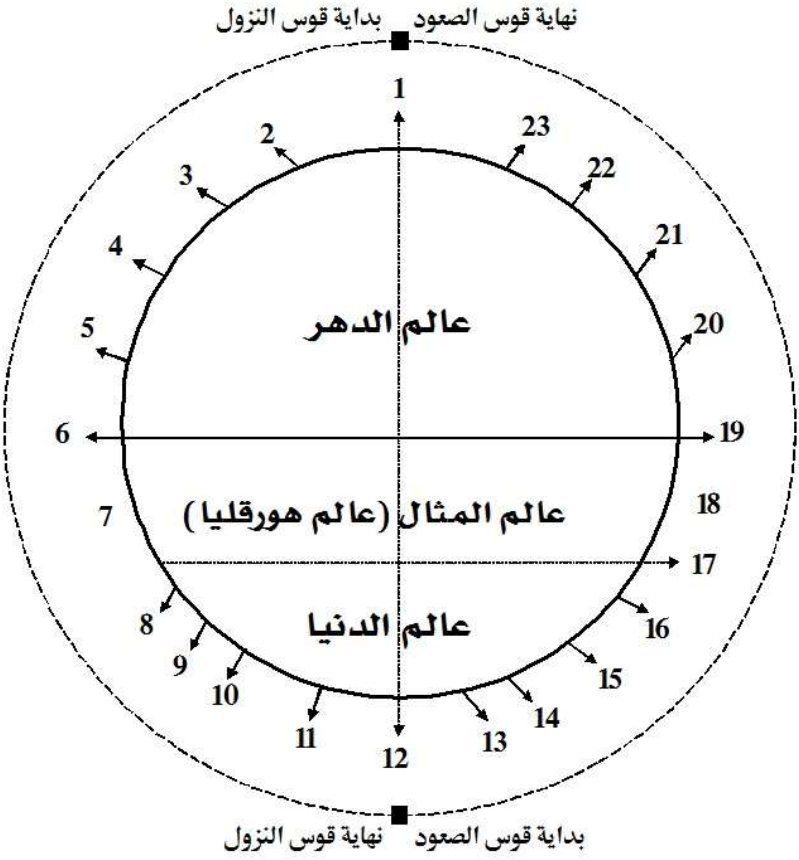

حسناً.. هل نظرت جيداً إلى الصورتين السابقتين؟

حاول أن تتبع الأرقام الموجودة في الدائرة المعدلة مع نظائرها في حديثنا الآتي.

وفي هذه الدائرة سننطلق من بداية قوس النزول في عالم الوجود المقيد[1]..

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (والمفعول هو الوجود المقيد، وأوله عقل الكل، وهذا البرزخ لك أن تلحقه بالمطلق، وإن كان مطلقاً إضافياً، ولك أن تلحقه بالمقيد وإن كان نسبياً، أي: بالنسبة إلى الفعل. والوجود المقيد أوله عقل الكل وهو روح القدس في قول العسكري عليه السلام قال: «وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة»، والباكورة أول الثمرة، يعني أن روح القدس أول ما قبل الوجود، وهو أول من ظهر من ذلك الماء في تلك الأرض، فالمشيئة وقتها السرمد، وعقل الكل وروح الكل ونفس الكل وطبيعة الكل وجوهر الهباء وقتها الدهر، وجسم الكل وما فيه من الفلك المحدد الجهات، والمكوكب والأفلاك السبعة والعناصر الثلاثة والأرضون السبع وقتها في الزمان. فالفعل حادث ليس في زمان بل هو مع السرمد، والمجردات من العقل إلى جوهر الهباء، يعني الكل ومادة الكل حادثة كلها مع الدهر قبل الزمان. والمثال برزخ بين الدهر والزمان، وجهه إلى الدهر وخلفه إلى الزمان، وهو بدن نوراني لطيف لا أرواح فيه، وهو ظل الجواهر النفسية، وهو عالم واسع ذو عجايب لا تتناهى، أسفله على محدد الجهات رتبة، وأعلاه تحت جوهر الهباء، أقامه الله سبحانه في الأقليم الثامن، فيه الجنتان المدهامتان، ونار الدنيا عند مطلع الشمس، وهورقليا تدور أفلاكه على جابقا وجابرسا، والجنتان المدهامتان فيه، وتغرب عليهما شمسنا فتظهر عليهما بقدر ما نراها أربعين مرة لصفاء ذلك الأقليم ونوريته، وتطلع على النار تمر على رؤوس أهلها ليس بينها وبينهم ستر، وهذا العالم أعني المثال برزخ بين المجردات والأجسام. وأما عالم الملك أعني عالم الأجسام من الفلك الأطلس إلى الأرض السابعة فحادث مع الزمان، لطيف الزمان مع لطيفه كالأطلس، ومتوسطه مع متوسطه كالسماوات، وكثيفه مع كثيفه كالأرض). [رسالة في شرح الرسالة العلمية للملا محسن الفيض "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١ ص٤٤٣ـ٤٤٤].

الـذي ينقسـم إلى عـالمين همـا: عـالم الـدهر (عـالم المجـردات)، وعالم الزمان (عالم الماديات)[١].

بداية قوس النزول.. عالم الدهر (عالم المجردات)

١: الصـادر الأول (المفعـول الأول) مـن الفعـل في عـالم الوجـود المقيد.. نور الأنوار، الماء، نور الحقيقة المحمدية.

٢ـ عالم الجبروت (عالم العقول).. أوله العقل الكلي.

٣ـ برزخ عالم الرقائق (عالم الأرواح).. أوله الروح الكلية.

٤ـ عالم الملكوت (عالم النفوس).. أوله النفس الكلية.

٥ـ عالم برزخ جوهر الهباء (عـالم الـذر).. ألسـت بـربكم، محمـد نبيكم، علي وليكم؟

٦ـ عالم الطبيعة (عالم خلط الطينة)، وأوله الطبيعة الكلية[٢].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما الوجود المقيد، فهو المفعولات بأسرها، من المجردات والماديات، وظرف المجردات الدهر، وظرف الماديات الزمان). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٤١].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أول الصادر والحوادث بعد المشيئة والإرادة والقدر والقضاء والإمضاء هو العقل الأول، الذي هو العقل الكلي، وبتبعيته العقول، ثم الروح الكلية وبتبعيتها الأرواح، ثم النفس الكلية وبتبعيتها النفوس، ثم الطبيعة الكلية وبتبعيتها الطبائع). [رسالة في جواب الملا كاظم بن علي نقي السماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٢٢٢].

نهاية قوس النزول في عالم الدهر.. وبداية قوس النزول في عالم الزمان

يسمى عالم الزمان أيضاً بعالم الملك، وينقسم إلى قسمين: عالم ملك علوي (عالم المثال، عالم هورقليا)، وعالم ملك سفلي (عالم الدنيا المشاهد)[١].

٧ـ برزخ عالم المثال، (عالم الملك العلوي: أعلاه مجرد، وأسفله محسوس لطيف)، وهو عالم هورقليا[٢].

بداية عالم الدنيا

ويسمى عالم الدنيا بعالم الملك السفلي، أو عالم الأجسام (أعلاه وباطنه لطيف، أسفله وظاهره كثيف).

٨ ـ عصر المخلوقات الأولى على الأرض.. كالذين كانوا على هئية البقر، وكالسلاحف، والطير المسمى بالقرا.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (عالم الملك قسمان: سفلي: وهو عالم الدنيا المشاهد. وعلوي: وهو هورقليا؛ أي: عالم الملك الثاني). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أما لفظة هورقليا، فمعناها: ملك آخر؛ لأن المراد به عالم البرزخ، وعالم الدنيا هو عالم الأجسام؛ أي: عالم الملك، وعالم النفوس عالم الملكوت، وعالم البرزخ المتوسط بين عالم الملك وعالم الملكوت عالم آخر، فهو ملك آخر؛ يعني: إن عالم الأجسام عالم الملك، وهناك عالم ملك آخر وهو في الأقليم الثامن). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٤٩ـ٤٥٠].

٩ـ عصر الجن والنسانس.

١٠ ـ الفترة التي أهبط فيها نبي الله آدم عليه السلام إلى الأرض.

١١ـ عصور الرسل والأنبياء عليهم السلام.

١٢ـ عصر النبوة، عصر النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

نهاية قوس النزول في عالم الزمان.. وبداية قوس الصعود في عالم الزمان

١٣ـ عصور الأئمة عليهم السلام.

١٤ـ عصر الغيبة الصغرى.

١٥ـ عصر الغيبة الكبرى.. نحن هنا في دائرة الوجود المقيد (من دون تحديد.. حتى لا نكون من المؤقتين!).

١٦ـ عصر ظهوره صلى الله عليه وآله، ورجعة آبائه عليهم السلام.. وفيه تعود الأرض إلى طبيعتها الأولى (الطبيعة اللطيفة) المشابهة لطبيعة ما أعلاها.

١٧ـ الموت.. تنتهي حياة الإنسان الدنياوية، فيلقي ما أخذه منها من الكثافات العرضية، ويبقى في القبر جسده الأصلي[1]، أما الروح فتخرج إلى عالم البرزخ.

---

(١) سوف يأتي بيان ذلك لاحقاً.

نهاية عالم الدنيا.. وبداية عالم المثال (عالم هورقليا)

١٨ـ عالم المثال، عالم هوقليا، البرزخ الذي تأوي إليه الأرواح بعد الموت.. وهو نفس العالم الذي مررنا به في قوس النزول، نعود إليه في قوس الصعود إلى نفخة الصعق.

١٩ـ بين النفختين.

نهاية قوس الصعود في عالم الزمان، وبداية قوس الصعود في عالم الدهر

٢٠ـ يوم القيامة الكبرى.

٢١ـ الرفرف الأخضر.

٢٢ـ أرض الزعفران.

٢٣ـ الرضوان.[١]

نهاية قوس الصعود في عالم الدهر.

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (مراتب أهل الجنة تزيد في الحسن والجمال والجدة والشباب بعكس الدنيا كل وقت على سبيل التدرج سيالاً وهكذا، فإذا مضى عليهم قدر إثنا عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا صعدوا عن الرفرف الأخضر إلى الكثيب الأحمر، ويمكثون فيه قدر إثني عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا، ويصعدون إلى الأعراف ويمكثون فيه قدر إثني عشر ألف ألف سنة من سني الدنيا، ويصعدون إلى مقام الرضوان، فلا يزالون فيه أبد الآبدين بلا غاية ولا نهاية يزدادون شباباً وجدة وجمالاً وملكاً وحوراً عيناً). [الرسالة الخاقانية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٣٠٠].

عزيزي القارئ..

هل فعلت ما طلبته منك؟

وهو محاولة التفكير في دائرة الوجود المقيد بصورة تنازلية، وربط أحداث العوالم الإلهية مع بعضها البعض!

حسناً..

سأسهل عليك الأمر قليلاً بالجدول البيانات التالي:

قوس النزول وقوس الصعود في دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي						
عالم الدهر	مجرد		الفاتح	نور الأنوار ـ الماء ـ الحقيقة المحمدية «أول ما خلق الله نوري»		الخاتم
			بداية قوس النزول في عالم الدهر		عالم الجبروت (عالم العقول)	نهاية قوس الصعود في عالم الدهر
				برزخ عالم الأرواح (عالم الرقائق)	أرض الزعفران	
				عالم الملكوت (عالم النفوس)	الرفرف الأخضر	
				برزخ عالم جوهر الهباء (عالم الذر)	يوم القيامة الكبرى	
			نهاية قوس النزول في عالم الدهر ـ بداية قوس النزول في عالم الزمان	عالم الطبيعة (عالم خلط الطينة)	ما بين النفختين	نهاية قوس الصعود في عالم الزمان ـ بداية قوس الصعود في عالم الدهر
عالم الزمان	عالم الملك العلوي	أعلاه مجرد أسفله لطيف		برزخ عالم المثال (عالم هورقليا)	الموت (بقاء الروح في عالم هورقليا (البرزخ)	
	عالم الملك السفلي	أعلاه لطيف أسفله كثيف		عصر المخلوقات التي كانت على هيئة البقر، والسلاحف، والطير المسمى بالقرا	عصر الظهور والرجعات	
				عصر الجان والنسناس		
				أهبط نبي الله آدم عليه السلام على الأرض		
				عصور الرسل والأنبياء عليهم السلام	عصر الغيبة الكبرى عصر الغيبة الصغرى عصور الأئمة عليهم السلام	
			نهاية قوس النزول في عالم الزمان	عصر النبوة		بداية قوس الصعود في عالم الزمان
			الخاتم	«ألا إن الزمان قد استدار كيوم خلق السموات والأرض» (استدار القوس)		الفاتح

ما رأيك فيما مر بيانه؟

هل بت ترى الأمور الآن بشكل أوضح؟

دعني أوضح لك المزيد من النقاط الهامة في دائرة الوجود المقيد:

١ـ قد تقول: كيف يكون الصادر الأول في دائرة الوجود المقيد، النبي الأعظم محمد ﷺ (الحقيقة المحمدية)؛ مرة نور الأنوار، ومرة أخرى العقل الكلي؟

فهناك فرق بينهما في الرتبة؛ فمرتبة نور الأنوار قبل مرتبة العقل الكلي، ومرتبة العقل الكلي بعد تلك.

وتفسير ذلك..

من جهة أن المشيئة الكونية تقومت به ﷺ تقوماً ركنياً؛ أي: إنه ﷺ صورتها ومحلها، فيأخذ المعنى الأول؛ فلا يكون من عالم الوجود المقيد بل من عالم الوجود المطلق.. أو البرزخ بين العالمين.

ومن جهة أنه مخلوق (أول المخلوقات ظهوراً وتحققاً في عالم الوجود المقيد)، وجميع المخلوقات تقومت به تقوماً صدورياً؛ أي:

صدرت من نور شعاعه، فيأخذ المعنى الثاني؛ فيكون من الوجود المقيد.. فلا إشكال في ذلك.[١]

٢ـ النبي الأعظم محمد ﷺ هو الفاتح في قوس النزول، وهو الخاتم له.. وهو أيضاً الفاتح في قوس الصعود، وهو الخاتم له.

ولذا ورد في الزيارة الجامعة: «بكم فتح الله، وبكم يختم»[٢].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إن الماء الأول، الذي هو أول صادر من المشيئة الكونية، وهو الحقيقة المحمدية ﷺ.. فيه احتمالان: [الأول]: أنه هل يكون من الوجود المطلق؛ لأنه قبل العقل، وأول ما خلق الله العقل، يعني: من الوجود المقيد؟ [الثاني]: أم يكون من الوجود المقيد، لأنه من المفعولات لا من الأفعال؟ ودليل الأول: إن الفعل متقوم به قيام ظهور، فلا يكون له تأثير إلا به؛ لأنه كالحديدة المحماة بالنار، وإن كانت إنما تحرق بحرارة النار القائمة بها، إلا أنها لا تقوم بنفسها من دون الحديدة، فبالحديدة تحرق الحرارة لا بنفسها، فيُنسب إلى الحديدة كثير من أوصاف الحرارة، فيكون الماء المذكور من الوجود المطلق، وربما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾. [النور: (٣٥)]. ودليل الثاني: أنه من الخلق، بمعنى المخلوق، فلا يكون من عالم الأمر، كما قال تعالى: ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾. [الأعراف: (٥٤)]، والعطف يقتضي المغايرة فيكون من الوجود المقيد، لتقيده بمس النار، أي: لا يضيء إلا بمس النار، وعلى كل من الاحتمالين، فهو البرزخ بين الفعل والمفعول بالفعل وبالذات والقصد، فيكون وجهه وأعلاه في السرمد والإمكان، وهو في الدهر، والممكن من حيث الرتبة، وأعلى الدهر والممكن، وألطفهما وأدقهما ما كان للعقل منهما). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩١ـ١٩٢].

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٩٩ ص١٣١ ب ٨/ الزيارات الجامعة.. الزيارة الثانية ح٤.

فبه ﷺ افتُتِح قوس النزول في عالم الدهر، وبه اختُتِم في عالم الزمان، وبه افتُتِح قوس الصعود في عالم الزمان، وبه يختتم قوس الصعود في عالم الدهر.

فاستدارت[١] القوس في عالم الزمان من قوس النزول إلى قوس الصعود كانت به ﷺ.

ولذا قال في خطبة الوداع: «ألا إن الزمان قد استدار كيوم خلق السموات والأرض»[٢].

وورد في زيارة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «السلام على رسول الله، السلام على أمين الله على رسله وعزائم أمره، والخاتم لما سبق، والفاتح لما استقبل»[٣].. الخاتم لقوس النزول، والفاتح لقوس الصعود.

٣ـ لو تلاحظ الحركة في دائرة الوجود المقيد جيداً، فسوف تدرك أنها تتجه عكس عقارب الساعة.

وهذه هي الحركة الطبيعية للنظام الكوني!

---

(١) الإستدارة: هي تغير اتجاه الحركة.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٩ ص٩٩.

(٣) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٩٧ ص٣٦٠ ب٥/ زياراته صلوات الله عليه المختصة بالأيام/ زيارة الغدير ويومها ح٦.

فكل شيء يتحرك بطبيعته في هذا الإتجاه (عكس عقارب الساعة)، الكواكب والأفلاك، الذرات في جسم الإنسان، الطواف حول البيت.. إلخ.

ومتى ما اختلت تلك الحركة ؛ أي: صار اتجاهها مع عقارب الساعة اختل النظام.

٤ـ الطبيعة، الأحداث، الوقائع.. تتقابل في قوس النزول مع نظيرها في قوس الصعود!

فالطبيعة اللطيفة في بداية قوس النزول في الزمان التي كانت في عصر المخلوقات الأولى تقابل الطبيعة اللطيفة في عصر الظهور والرجعات.

والأحداث والوقائع التي حدثت في قوس النزول في عصور الرسل والأنبياء تقابل ما حدث في قوس الصعود في عصور الأئمة عليهم السلام وفي الغيبة الصغرى وما يحدث في الغيبة الكبرى كذلك.

ومن هنا تدرك حكمة القرآن الكريم في ذكر قصص الأقوام السابقة، فلم يأتي أمرها عبثاً ؛ بل كان لأمور ومنها الاعتبار بما حل

بهم، ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

ولذا قال النبي الأعظم محمد ﷺ: «كائن في أمتي ما كان في بني إسرائيل، حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة»[2].

وروى الصدوق بإسناده عن عبدالأعلى بن أعين قال: «قلت لأبي عبدالله عليه السلام: جعلت فداك، حديث يرويه الناس: إن رسول الله ﷺ قال: حدث عن بني إسرائيل ولا حرج. قال: نعم، قلت فنحدث عن بني إسرائيل بما سمعنا ولا حرج علينا؟ قال عليه السلام: أما سمعت ما قال: كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع، فقلت: فكيف هذا؟ قال عليه السلام: ما كان في الكتاب أنه كان في بني إسرائيل فحدث أنه كائن في هذه الأمة ولا حرج»[3].

٥ـ نسمع كثيراً بمصطلح (آخر الزمان)، فنعتقد بأنه يعود إلى آخر الزمان الذي نحن فيه الآن فقط.. أليس كذلك؟

---

(١) يوسف: (١١١).

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٣٦ ص ٢٨٤ ب٤١/نصوص الرسول ﷺ ح١٠٦.

(٣) الصدوق ـ المعاني: ص١٥٨ ح١.

ولكن.. لو تلاحظ دائرة الوجود المقيد فسوف تدرك أن هذا المصطلح يعود إلى فترتين مختلفتين، وهما:

الأولى: آخر الزمان في قوس النزول.

قوس النزول في عالم الزمان له بداية ونهاية، بدايته عصور المخلوقات الأولى، ونهايته بعثة النبي الأعظم محمد ﷺ؛ ولذا كانت الرسل والأنبياء عليهم السلام حينما يبشرون ببعثته يقولون في آخر الزمان.. وهو العائد إلى هذه الفترة الزمانية في قوس النزول.

الثاني: آخر الزمان في قوس الصعود

قوس الصعود في عالم الزمان كذلك له بداية ونهاية، بدايته حينما استدار الزمان بوفاته ﷺ، ونهايته في عصر الظهور والرجعات؛ ولذا كانوا ـ صلوات الله عليهم ـ حينما يبشرون بظهور الحجة منهم عليه السلام يقولون آخر الزمان.. وهو العائد إلى هذه الفترة الزمانية في قوس الصعود.

فانتبه لاستعمال هذا المصطلح..

طبيعة عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي

عالم هورقليا كغيره من العوالم الأخرى في دائرة الوجود المقيد، يوجد فيه سماء وأفلاك، وأرض لها عناصر لطيفه، وبها مدن كجابلقا وجابرسا اللتان ذكرتا في الروايات[1].. ويبدو الحديث عن كل ذلك شيء معقد، ويحتاج إلى مقدمات طويلة.

---

(١) جاء في الحديث الذي سئل فيه أمير المؤمنين عليه السلام، هل كان لفي الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم وذريته؟: (ثم خلق الله خلقاً على خلاف خلق الملائكة وعلى خلاف خلق الجن وعلى خلاف خلق النسناس..ثم أراد الله أن يفرقهم فرقتين، فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكون لهم مدينة أنشأها تسمى (جابرسا) طولها إثنا عشر ألف فرسخ في إثني عشر ألف فرسخ، وكون عليها سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء، ثم أسكنهم فيها، وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر، وكون لهم مدينة أنشأها تسمى (جابلقا) طولها إثنا ألف عشر فرسخ في إثني عشر ألف فرسخ، وكون لهم سوراً من حديد يقطع إلى السماء، فأسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل (جابرسا) بموضع أهل (جابلقا)، ولا يعلم أهل (جابلقا) بموضع أهل (جابرسا)، ولا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجن والنسناس). [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٤ ص٣٢٢ ح٥].

وعن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن رجاله، عن أبي عبدالله عليه السلام يرفع إلى الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: «إن لله مدينتين: إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعين ألف ألف لغة، يتكلم كل بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيها، وما بينهما، وما عليهما حجة غيري، والحسين أخي». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٤ ص٣٢٧ ح٧].

فما هو السبيل إلى معرفة هذا العالم بعدما قمنا بتحديد مكانه؟

هناك طريقة تختصر علينا ذلك كله، وهي إدراك طبيعته التي تستحوذ على الكيان الأساسي لكل الأشياء فيه.

فما هي طبيعة عالم هورقليا؟

دعني ابدأ أولاً بذكر نظرية هامة من النظريات الفلسفية، وهي نظرية البرزخ.. فأنا بحاجة إليها في حديثي معك لبيان ما نحن فيه.

فما هي هذه النظرية؟

يعرف البرزخ بأنه الواسطة بين الشيئين[١].

ولا يقصد بالبرزخ الحد الفاصل أو الحاجز الذي يقطع إلتقاء الشيئين؛ بل يراد به المنطقة التي يلتقي عندها الشيئان.

تأمل معي هذه الآيات..

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۞ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ﴾[٣].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (ومرادنا بالبرزاخ: ليست الجامعة بين الشيئين.. وإنما المراد بها الواصلة بين العوالم المتباينة). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٩١].

(٢) سورة النمل: (٦١).

(٣) سورة الرحمن: (١٩ـ٢٠).

هـل تلاحـظ.. في الآيـة الأولى يوجـد هنـاك حـاجز فصـل بـين البحرين؟

أما في الآيتين التاليتين فهناك منطقة التقى عندها البحـران، تسـمى بالبرزخ!

وأسمح لي في تبسيط الأمر لك أكثر بهذا المثال:

لـو كـان لـديك غـرفتين وبينهمـا جـدار، وقمـت بتشـغيل جهـاز التكييف في الغرفة الأولى بدرجة برودة عالية، وفي الغرفة الثانية بدرجـة حرارة عالية.

فمن البداهة أنك ستشعر فقط بالبرود في الغرفة الأولى، وبالحرارة في الغرفة الثاني؛ وذلـك بسـبب الجـدار الـذي قـام بعـزل الطبيعـتين عـن بعضهما البعض.. فالجدار هنا فاصل أو حاجز.

أما لو قررت يوماً ما إلغاء ذلك الجـدار، ثـم قمـت بتشـغيل جهـاز التكييف فيهما بتلك الطبيعتين.. فقل لي:

ما هي الطبيعة التي ستحصل عليها في مكان الجدار؟

ستحصل على طبيعة ممزوجة من البرودة والحرارة ؛ لأن مكانه أصبح المنطقة التي تلتقي فيها طبيعة الغرفة الباردة بطبيعة الغرفة الحارة.. وهذا المكان الذي التقت فيه الطبيعتان يصطلح عليه بالبرزخ.

هل وصلت فكرة البرزخ إلى ذهنك؟

دعنا نتحدث الآن عن هذه النظرية فلسفياً..

"لا يوجد طفرة في عالم الوجود"

هذه النظرية الأم التي ولدت من رحمها نظرية البرزخ[١].

ويراد بالطفرة: التغير المفاجئ للشيء، أو انتقال الشيء إلى شيء آخر من دون مروره بالحالة الوسطية.. فحتى يتغير الشيء أو ينتقل إلى حالة أخرى ؛ لابد أن يمر بحالة وسطية تسمى بالبرزخ!

فمثلاً..

حتى يتغير ـ أو ينتقل ـ الوقت من النهار إلى الليل لا بد أن يمر بفترة الغروب، وهي الفترة التي تتداخل فيها طبيعة النهار بطبيعة الليل.. وحتى يتغير الوقت من الليل إلى النهار لا بد أن يمر بفترة الفجر، وهي الفترة التي تتداخل فيها طبيعة الليل بطبيعة النهار.. فالمغرب والفجر برزخان بين النهار والليل.

---

(١) رسالة في جواب الشيخ علي العريض "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٢٣٥.

والفصول كذلك.. فالفصل قبل أن ينتقل من الصيف إلى الشتاء يمر بالخريف، وقبل أن ينتقل من الشتاء إلى الصيف يمر الربيع.. فالخريف والربيع برزخان بين فصل الصيف وفصل الشتاء.

وهكذا الأمر في كل شيء في الوجود، حتى بين الصانع والمصنوع هناك برزخاً!

هل تتذكر ما ذكرناه سابقاً؟

أن بين الصانع والمصنوع هناك الصنع (الفعل).. أي: محمد وآل محمد ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ؛ لأنهم محال الفعل[١].

فهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ البرزخ[٢] بيننا وبين الله ـ سبحانه وتعالى ـ، فلا ينزل شيء من السماء إلا بهم، ولا يصعد شيء من الأرض إلا بهم[٣].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأنهم ليسوا نائبين عنه؛ لأن النيابة تقتضي عزله عن ملكه تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وإنما المراد بذلك أنه سبحانه يفعل بهم ما شاء، لا أنهم نوابه في الفعل بل هو الفاعل وحده لا شريك له في فعله، وإنما هم محالّ فعله، وأعضاد خلقه، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون). [شرح الزيارة الجامعة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٢٢٣ـ٢٢٤].

(٢) شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٩٢.

(٣) كما قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام ـ في ذكر آل محمد ـ: «بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار، وبنا نزل غيث السماء ونبت عشب الأرض، بعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله». [الكافي ـ الشيخ الكليني: ج١ ب/ عصمة الأئمة عليهم السلام ص١٤٤ ح٥].

من هنا كانت لهم طبيعتان.. طبيعة إلهية قدسية تمكنهم من تلقي المدد والفيض من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وطبيعة بشرية تمكنهم من إيصال الوحي إلى كافة المخلوقات[١].

وكذلك.. هل تتذكر المخلوقات الأولى على الأرض؟

تلك المخلوقات التي كانت على هيئة البقر، والسلاحف، والطير المسمى بالقرا، فبينهم وبين نبينا آدم عليه السلام وذريته كان هناك برزخاً من المخلوقات، ألا وهم الجان والنسناس[٢].

وأيضاً بين العوالم الإلهية يوجد هناك عوالم برزخية.

فبين عالم الجبروت وعالم الملكوت هناك برزخ عالم الرقائق، وبين عالم الملكوت وعالم الطبيعة يوجد هناك برخ عالم جوهر الهباء، وبين عالم الدهر وعالم الزمان يوجد هناك برزخ عالم المثال أو عالم هورقليا.. من هنا أصبح الأسم الشائع والمعروف لهذا العالم بعالم البرزخ.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وكان الترجمان الواسطة بين المختلفين موافقاً بجهته العليا للتكليف ومبدئه وتلقيه، وبجهته السفلى للتبليغ والتعريف). [رسالة في العصمة والرجعة "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٤ ص٨٤].

(٢) أشار الشيخ أحمد الأحسائي في أحمد الهوامش التي نقلت فيها كلماته إلى ذلك.. فراجع.

وإذا فهمت لماذا عالم هورقليا من العوالم البرزخية.. فهل يمكنك أن تخبرني عن طبيعته؟

فكر في الأمر قليلاً..

تذكر مثال الغرفتين الذي مر سابقاً.. سيسهل عليك ذلك.

حتماً ستكون لعالم هورقليا طبيعة ممتزجة، مكونة من العالم الذي يحده من الأعلى، ومن العالم الذي يحده من الأسفل[١].

فمن الأعلى يحده عالم الدهر، ولهذا العالم طبيعة مجردة؛ فطبيعة سماء وأفلاك عالم هورقليا مجردة.. وكل ما يوجد في سمائه أو يخلق من أفلاكه يأخذ نفس تلك الطبيعة[٢].

ومن الأسفل يحده عالم الملك السفلي (عالم الدنيا)؛ ويأخذ منه الطبيعة الحسية اللطيفة (طبيعته الأولى).

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (والعقل شاهد بوجوده؛ لأن عالم الملكوت من المجردات. وعالم الملك من الماديات، ولابد أن يكون بينهما برزخ ليس في لطافة المجردات ولا في كثافة الماديات، وإلا وجدت الطفرة في الوجود). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري " تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥٠ـ٤٥١].

(٢) ولكن.. تجرد عالم الدهر يختلف عن تجرد عالم هورقليا العلوي، فعالم الدهر مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، والمادة المثالية أو البرزخية، أما عالم هورقليا العلوي فهو مجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية فقط، لا من المادة البزرخية.. وسوف يأتي لاحقاً الإشارة إلى ذلك.

لعلك تسأل: لماذا؟

لأن هناك مصطلحان يقبعان في حيز عالم الدنيا، وهما اللطافة والكثافة؛ وكلاهما حسيان.

الطبيعة الحسية اللطيفة في أطرافه الأولى (بداياته)، في باطنه.. والطبيعة الحسية الكثيفة في أسفله (نهاياته)، في ظاهره.

ومثال الأطراف اللطيفة والنهاية الكثيفة:

المخلوقات التي عاشت في بداية عالم الدنيا كانت تتمتع بطبيعة لطيف، أما المخلوقات التي تعيش في أسفله تتمتع بطبيعة كثيفة.. كما ذكرنا سابقاً.

أما مثال الباطن والظاهر:

الهواء، الكهرباء، الميكروبات، الفيروسات؛ كلها أشياء محسوسة موجودة معنا في عالم الدنيا؛ ولكنها لطيفة، لا ترى بآلة العين الكثيفة، وإنما تحتاج إلى آلة لطيفه لرؤيتها.

أما الشجر، الحجر، المعادن؛ فهي أشياء محسوسة موجودة كذلك معنا في عالم الدنيا، ونستطيع رؤيتها لكثافتها.

فعالم هورقليا (البرزخ) وإن كان يقع في عالم الزمان المحسوس؛ إلا أنه في أعلى مراتبه[١].. ويلتقي مع عالم الدنيا في أسفل عالم الزمان (الملك) في الجزء اللطيف الباطن[٢]؛ وليس في الجزء الكثيف الظاهر.

وعلى ذلك..

فأرض عالم هورقليا لها طبيعة حسية لطيفة، وكل ما يوجد فيها كجنان الدنيا، ونيران الدنيا، وجنة أبينا آدم عليه السلام، ومدينة جابلقا وجابرسا.. كلها لها نفس طبيعتها، وكذلك كل ما يخلق من تلك الأرض أو من عناصرها يأخذ أيضاً تلك الطبيعة الحسية اللطيفة.

وإذا كان الأمر هكذا..

فماذا تعتقد في نعيم وعذاب عالم هورقليا (عالم البرزخ)؟

حتماً سيكون النعيم والعذاب حسيان؛ ولكنهما لطيفان.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أعلى مراتب الزمان في هورقليا، وإنما قلنا أعلى مراتب الزمان لأن هورقليا بين بين، فقد يطلق على أعلى مراتب الزمان، وقد يطلق على أسفل الدهر). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٣٩١].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أن القيامة الكبرى في باطن البرزخ، والبرزخ في باطن الدنيا المكنى عنها بظاهر الزمان وكثيفه). [رسالة في جواب الآخوند ملا علي "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٨].

والمطاعم والمشراب، واللذات والشهوات، وأصناف العذاب في جنان ونيران الدنيا (البرزخ) وإن كانت مشابهة لتلك التي في دنيانا الكثيفة؛ إلا أنها حسية لطيفة، وتفقوها بسبعين[١] مرة[٢] في مراتب نعيمها, وفي مراقي عذابها[٣].

أما الزمان والمكان في عالم هورقليا..

فيمتاز هذا العالم بالإضافة إلى خاصية التجرد في أعلاه، وخاصية اللطافة الزمانية في أسفله[٤].. يمتاز أيضاً بخاصية الإحاطة!

كيف ذلك؟

لأن العالي يحيط بالسافل ولا عكس، وعالم هورقليا لما كان يسبق عالم الدنيا فهو محيط به زماناً ومكاناً.

---

(١) رسالة في جواب الشيخ محمد بن الشيخ حسين البحراني "جواهر الحكم "ـ السيد كاظم الرشتي: ج١٣ ص٣٨.

(٢) هذا العدد لا يراد به الخصوص، وإنما قد يدل على مجرد الكثرة، وقد يدل على المرتبة أو المرقاة كما ذكرنا.

(٣) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إن نعيم جنة الدنيا مشابه لنعيم الدنيا، بمعنى أن جميع ما في الدنيا من الفواكة والمطاعم، والملابس، والسلطنة والعزة، مشابهة لما في جنة الدنيا؛ لأن تلك هي الأصل، وإنما هذه مثال وتذكرة وذكرى للذاكرين، وكذلك ما في جنة الدنيا مثال وتذكرة لجنة الآخرة). [أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٧٨].

(٤) أي: إن أعلاه مجرد عن المدة الزمانية، وأما أسفله فالزمان فيه لطيف.

بمعنى آخر.. إن وقته أوسع بكثير من عالم الدنيا.. فالماضي والحاضر والمستقبل مصطلحات موجودة في عالمنا؛ ولكنها تنعدم في زمان ذلك العالم، فيستطيع الموجود هناك الإحاطة بكل هذه الأوقات في الآن نفسه.

ودعني أقرب لك الأمر بهذا المثال..

تخيل لو كنت تجلس في غرفة ما، فأنت تحيط بوقت المساحة الموجودة أمامك، ولا تستطيع أن تدرك أكثر من ذلك..

ولكن لو صعدت إلى أعلى السماء، فسوف تتسع مساحة الأحاطة لديك؛ بسبب سعة العالم الذي أنت فيه بالنسبة للعالم الذي كنت فيه، فترى الزمان الموجود في داخل الغرفة وفي خارجها.

ولو صعدت إلى أعلى، ولنفرض أصبحت الشمس أسفل منك، فسينعدم لديك مقياس الوقت (الليل والنهار)، ورؤيتك ستتسع أكثر.. وهكذا كلما صعدت إلى أعلى أحطت بزمان ـ ومكان ـ الأسفل بصورة أوسع.

وأما المكان في عالم هورقليا.. فهو كالزمان من ناحية التجرد عن المادة العنصرية في أعلاه، ومن ناحية لطافته الحسية في أسفله.

وهو كذلك من ناحية الإحاطة ؛ فمساحته أوسع بكثير من مساحة عالم الدنيا.. بل لا يستطيع أحد أن يتصور مساحة عالم هورقليا (البرزخ)، حتى الموجودين فيه من الأموات!

لماذا؟

لأننا ما زلنا عاجزين عن تصور مساحة عالم الملك السفلي (عالم الدنيا) ؛ فكيف يمكننا تصور مساحة العالم الأعلى منه؟!

هل تريد أن أقرب لك كيف يكون من المحال تصور عالم هورقليا؟

عالم الدنيا فيه أرض وسماء وأفلاك، وفوقه الأقليم الثاني، وهو كذلك يحتوي على أرض وسماء وأفلاك، وفوق هذا الأقليم يوجد الأقليم الثالث، ويحتوي على أرض وسماء وأفلاك.. وهكذا تترامى الأقاليم إلى الأقليم الثامن الذي يقع فيه عالم هورقليا.

فهناك سبعة أقاليم كلما صعدت في أقليم زادت مساحته بالنسبة للذي تحته.

وإذا لم نستطع إدراك مساحة عالم الدنيا الذي هو أصغر تلك الأقاليم ؛ فكيف يمكننا إدراك مساحة عالم هورقليا؟!

وما دام الأمر هكذا..

فما رأيك؟

هل بإمكان عالم هورقليا حمل جميع البشر منذ بداية الأرض وحتى الآن؟

بالطبع بإمكانه ذلك!

الفصل الرابع

الانتقال إلى عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي

عزيزي القارئ..

إن الحديث عن عالم هورقليا لا يتم إلا بذكر طرق الانتقال إليه.. وقد تحدث الشيخ أحمد الأحسائي عن تلك الطرق.

ومواضيع هذا الفصل ستكون مشوقة جداً، وفي الآن نفسه كاشفة عن أهمية المعلومات التي كنا نتحدث عنها في الفصول السابقة.

منذ عهد ليس ببعيد..

كانت الدراسات الأكاديمية المستمدة من العلوم المادية لا تعترف إلا بوجود العالم المادي المنظور؛ ولكن تغيرت نظرتها عن ذلك بعدما توصلت من خلال تجاربها إلى وجود عوالم أخرى.. فطفقت تبحث عن الطرق والوسائل التي تعينها على الوصول إليها؛ لأهداف وأغراض عديدة.

وفي نفس الوقت..

سبقتها الأديان السماوية إلى ذلك، فقد تحدثت المسيحية واليهودية والإسلام عن وجود عوالم غير عالمنا الذي نعيش فيه، وبالخصوص تلك العوالم اللطيفة التي أثارت أذهان المسلمين بصورة أكبر لما حملته النصوص الإسلامية من زخم كبير من الكلمات والعبارات حولها.

فكانوا يسألون حجج الله عليهم السلام عن تفسير الآيات المتضمنة لبعض الجوانب؛ كآيات خلق السماوات والأرض وسكانها، ويوجهون إليهم

بعض التساؤلات العقلية الحكمية ؛ كتلك التي تتحدث عن وجود عوالم بها مدن حية فعالة، وبها مخلوقات تعبد الله ﷻ (كمدينة جابلقا وجابرسا)، وتلك التي تتحدث عن العوالم الواقعة بعد الموت، كعالم البرزخ (هورقليا).. وغير ذلك.

وهكذا توالت الإجابات منهم عليهم السلام في هذا الصدد، حتى بلغت الأعداد الكبيرة في مصنفات الحديث.. منها ما كانت تحمل لغة ظاهرة يفهمها الجميع، ومنها ما كانت المعاني تستجن في باطنها، وتحتاج إلى قلب يستطيع إستكناه ما يوجد خلفها من المعاني.

ولعله من هنا..

كان لأصحاب المدراس الفكرية العرفانية القائم أساسها على جانب الرياضة القلبية تقدم في هذا الموضوع عن أقرانهم الذين أتخذو العقل كأسس لمنهجهم.

ومما لا شك فيه، ليس كل ما ذكروه تمثل في إعطاء الصورة الصحيحة عن تلك العوالم، فمنهم من حاد في طريقته وغايته أثناء حديثه عنها، ومنهم من تقيد بحروف الشرع الأصيل، فجاء بما قالوه وبينوه عليهم السلام ؛ واستحق على إثر ذلك أن يُنظر في قراءته الفكرية.

والشيخ أحمد الأحسائي من أولئك الذين تحدثوا عن تلك العوالم بدليل الحكمة، مستنداً في آرائه على الفؤاد والنقل[١].. ولم يذكر من طرق للوصول ـ أو الانتقال ـ إليها بأكثر مما جاءت به الشريعة الإسلامية الحقة.

وأكثر ما يهمنا الآن في حديثه عن تلك العوالم، هو عالم هورقليا.

فما هي الطرق التي ذكرها للانتقال إلى هذا العالم؟

تعالى معي لنتعرف على ذلك في هذا الفصل..

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أقول: يعني دليل الحكمة آلة لتحصيل المعارف الإلهية الحقية.. قلت: ومستنده: الفؤاد والنقل. أقول أنه ينشأ عن الفؤاد لأنه إنما يدرك بنظره، والمراد بالفؤاد في كلام الأئمة عليهم السلام هو الوجود.. وأما النقل، والمراد به الكتاب والسنة، ومعنى كونهما مستنداً لذلك الدليل، أنهما محل استنباطه، لاشتمالهما على الاحتجاج به على وجه لا يحتمل الخطأ والغفلة.. قلت: أما شرطه: أن تنصف ربك.. أقول: والمراد من شرط دليل الحكمة، ما يتوقف عليه فتح باب النور على فؤادك، لأنك إذا لم تنصف ربك لم يفتح باب النور والبصيرة.. فإن أجبته وأقررت بما عرفك إقراراً لا بخصوص اللسان، بل باللسان في الأقوال، وبالجنان في الاعتقادات، وبالأركان في الأعمال، فقد أنصفت ربك، وحينئذٍ ينفعك استدلالك بدليل الحكمة، حتى تصل به إلى عالم الأنوار، وتقف به على خفايا الأسرار، وإلا فلا). [شرح فوائد الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٢٠٥ـ٢١٤].

كيفية انتقال وبقاء الأرواح في عالم هورقليا

عزيزي القارئ..

في بداية هذا الموضوع نحتاج العودة إلى الوراء لتذكر بعض المعلومات السابقة.

هل تتذكر الرأي الذي اختاره الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة عملية الموت؟

لقد اختار الرأي الأول الذي يقول بأنها انتقال من دار إلى دار.

وهل تتذكر ـ أيضاً ـ الإشكال الذي وجهه أصحاب الرأي (الثاني) الذين قالوا بأن عملية الموت عدم وفناء إلى أصحاب الرأي الأول؟

لقد كان كالتالي: كيف يمكن للروح أن تنتقل وتبقى في عالم البرزخ من دون جسم؟

والسؤال الهام هنا هو:

إذا كان الشيخ أحمد الأحسائي من أصحاب الرأي الأول، فكيف استطاع حل هذا الإشكال؟

من أجل الإجابة على هذا السؤال، فالأمر بحاجة إلى ذكر نظريته في المعاد.. وحتى أتمكن من بيانها من دون إتخاذ الأساليب المعقدة أو الشروحات التي تجعل الأمر صعباً كما هو عليه فلسفياً.

فأسمح لي بتقدم هذا المثال أولاً:

هل تمنيت يوماً زيارة سطح القمر؟

تخيل لو أن شركة ناسا للطيران قدمت لك رحلة مجانية إلى سطح القمر، فحزمت حقائبك، وذهبت لحضور البرنامج التدريبي الذي يسبق الرحلة.

فهنا يجب أن تكون ملماً ببعض المعلومات الأساسية عن عالم الفضاء، ومنها:

إن طبيعة سطح الأرض تختلف تماماً عن طبيعة سطح القمر، وحتى يتمكن رواد الفضاء من التغلب على تلك الطبيعة أثناء رحلاتهم الإستكشافية فإنهم ملزمين بارتدا ثوبين خاصين!

الأول: الثوب الخاص بالمكوك الذي ترتديه حينما تكون في داخله قبل مغادرتك؛ ليحمي جسمك من الهواء المضغوط، ويوفر لك الأكسجين، ودرجة الحرارة المنظمة.. إلخ.

وسوف تضل مرتدياً هذا الثوب طيلة المسافة التي تقطعها من سطح الأرض إلى سطح القمر.. المسافة البرزخية بينهما.

الثاني: الثوب الخاص بسطح القمر الذي ترتديه فوق الثوب الأول إذا وصلت إلى هناك؛ لتستطيع التجول بأمان، ولحمايتك من الإشعاعات الخطيرة والبرودة الشديدة.. إلخ.

وسوف تضل مرتدياً هذين الثوبين ما دمت فوق سطح القمر.

وبعدما تنتهي رحلتك، ويحين موعد عودتك إلى سطح الأرض؛ فبمجرد أن تعود لداخل المكوك ستنزع الثوب الثاني الخارجي!

لماذا؟

لأنك لم تعد بحاجة إليه.. أليس كذلك؟

فلقد كنت تحتاجه على سطح القمر فقط، أما الآن فأنت في داخل المكوك، ولا يزال عليك الثوب الأول الذي صمم خصيصاً ليلائم طبيعته.

وعندما تصل إلى سطح الأرض.. فماذا ستفعل بالثوب الأول الخاص بالمكوك؟

سوف تنزعه.. لأنك لم تعد بحاجة إليه أيضاً.

إذا فهمت هذا المثال جيداً..

فتعال معي لنتعرف على نظرية المعاد ـ فلسفياً ـ عند الشيخ أحمد الأحسائي.

باختصار..

النظرية هي[١]: إن هذا الإنسان الموجود الآن في عالم الدنيا له وجود سابق في عالم الغيب، فالخلق قد مر بمراحل أو أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾[٢]؛ بدأت في قوس النزول من أول عوالم الدهر، وأنتهت بعالم الدنيا.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (اعلم: إن الجسد الذي في الإنسان جسدان: أحدهما الأول، وهو فانٍ لا يعود، والجسم فيه جسمان؛ الأول لا يعود، والجسد الثاني يعود، والجسم الثاني يعود، وهذا هو الذي ذكرناه في تلك الأجوبة. والمراد أن الإنسان نزل من عالم الغيب من الخزائن كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ﴾، فلما نزل إلى الدنيا دار التكليف ليأخذ منها متاعه للآخره كل ما وصل إلى رتبة في نزوله تلوث بأعراض تلك الرتبة، مثل جبريل عليه السلام إذا نزل إلى الدنيا في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبس صورة دحية الكلبي، فإذا صعد إلى السماء لم يصعد بصورة دحية الكلبي، ولا تعود معه، وإذا نزل على الأنبياء كل نبي ينزل عليه في صورة رجل جميل من أهل زمانه، فكذلك الإنسان لما نزل بالجسم الأصلي الثاني الحامل للنفس، ومر بعالم المثال لحقه من عالم المثال الجسم الأول وهذا لا يعود لأنه ليس من الإنسان وإنما هو بمنزلة الوسخ الذي في ثوبك، فإنك إذا غسلته ذهب الوسخ ولا يعود، فلما نزل إلى الدنيا لحقه الجسد الأول من العناصر، وهو عرض لا ذات، وإنما هو من وسخ هذا العالم، فإذا مات وخرج من الدنيا ودفن في قبره أكلت الأرض الجسد الأول وبقي الجسد الثاني في قبره إلى يوم القيامة، فإذا كانت في يوم القيامة أتته الروح ودخلت فيه ودخلت معه الجنة أو النار وهو العائد الباقي). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥١ـ٤٥٢].

(٢) سورة نوح: (١٤).

فهذا الإنسان قد نزل من عالي عالم الغيب، وفي أثناء نزوله مر ببعض العوالم التي أحتاج فيها جسمه وجسده الأصليان إلى لبس أجسام وأجساد عرضية لتلائم طبيعة تلك العوالم.

فالجسم الأصلي (الجسم الأول) الحامل للروح الذي تكون في عوالم الدهر[١] لما مر بعالم المثال في أثناء نزوله لبس الجسم الهورقليائي (الجسم الثاني)[٢] المخلوق من عناصر أفلاك عالم هورقليا.

والجسد الأصلي (الجسد الأول) المتكون من أرض عالم هورقليا لبس في أثناء نزوله الجسد العنصري (الجسد الثاني)[٣] المخلوق من عناصر عالم الدنيا.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (اعلم: أن الذي يلحق بالجنة جنة الدنيا هو الذي يقبضه الملك وهو الإنسان الحقيقي. واصل وجوده مركب من خمسة أشياء: عقل، ونفس، وطبيعة، ومادة، ومثال. فالعقل في النفس بما فيها في الطبيعة، والكل في المادة، والمادة بما فيها إذا تعلق بها المثال تحقق الجسم الأصلي، وهو الغائب في العنصري المركب من العناصر الأربعة: النار والهواء والماء والتراب). [الرسالة الخاقانية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٥ ص١٢٩].

(٢) ويعبر عنه أيضاً الشيخ أحمد الأحسائي بالجسم المثالي، وبالجسم العنصري، وبالجسم البرزخي الذي تخرج به الروح بعد الموت.

(٣) قد يعبر الشيخ أحمد الأحسائي في نصوصه عن الجسم الأصلي بالجسم الأول، وأحياناً بالجسم الثاني، وهكذا الجسم العرضي، وكذلك الأمر مع الجسد الأصلي فقد يعبر عنه بالجسد الأول، وأحياناً بالجسد الثاني، وهكذا مع الجسد العرضي.. وهذا لا يهم ما دام قد بين مراده في كل نص.

فالإنسان الذي تراه الآن في الخارج له جسمان وجسدان!

ولعلك تقول الآن:

كيف يمكن أن يكون لهذا الإنسان جسمان وجسدان، ونحن لا نشاهد إلا واحداً فقط؟

إن الذي تشاهده هو الجسد العنصري (الدنيوي) الحامل لباقي الأجسام والأجساد.. وتلك موجودة في داخله، ولكنك لا تراها بالعين الكثيفة لتجردها ولطافتها[١].

ويعتبر التأثير أبسط طريقة لإثبات وجود تلك الأجسام والأجساد بداخل جسدك العنصري!

كيف التأثير؟

إن الجسد العنصري يتأثر أولاً وأصلاً بالشيء الذي خلق منه، وهي العناصر الأرضية ـ النار، الماء، الهواء، التراب ـ، وما يترتبط بها من المطاعم والمشارب؛ فالنار تحرقه، والسيف يقطعه، وكثرة أو قلة الطعام تمرضه.. ثم يسري التأثير إلى باقي الأجسام والأجساد الأخرى.

---

(١) الجسم الأصلي مجرد لأنه من عالم الدهر، والجسم العنصري مجرد لأنه من أفلاك عالم هورقليا المجردة، والجسد الأصلي محسوس لطيف لأنه من عناصر عالم هورقليا.

والجسم والجسد الأصليان يتأثران أولاً وأصلاً بالشيء الذي خلقا منه، وهي طينة الطاعة (للمؤمن) وطينة المعصية (للكافر والمنافق). فالطاعة تزيد المؤمن قرباً من حقيقته، والمعصية تبعده عنها. والمعصية تزيد الكافر قرباً من حقيقته، والطاعة تبعده عنها ولذا يفعلها وقلبه كارهاً لها[1].. ثم يسرى ذلك التأثير إلى باقي الأجسام والأجسام.

وأبسط مثال على هذا الصلاة!

فلماذا لا تؤثر الصلاة على الكثير منا رغم قوله تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾[2]؟!

لأن جسدك العنصري وإن قام بأفعال الصلاة من ركوع وسجود وغيرهما؛ فالتأثير لابد أن يقع أولاً على الجسم والجسد الأصلي؛ لأنهما المعنيان أصلاً بالطاعة والمعصية.

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لو أثرت أولاً فيما يخصها من الأجسام والأجساد؛ فجاء حث الشارع على النية الصادقة، والتوجه التام، والخضوع والخشوع؛ لأنها من الأمور التي تساهم في التصاق التأثير في الجسم والجسد الأصليان أولاً، ثم في غيرهما تالياً.

---

(١) رسائل الحكمة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص١٧٣.

(١) سورة العنكبوت: (٤٥).

وأما الجسد الهورقليائي فهو كذلك يتأثر أولاً وأصلاً بالشيء الذي خلق منه، وهو عناصر أفلاك عالم هورقلياء؛ فيتأثر بحركة الأفلاك، وبمنازل الأبراج والطوالع والنجوم وغيرها[1].

من هذه النقطة تفهم قضية علم الأبراج، وعلم الطلاسم، وحتى السحر.. فهذه تأثر أولاً بالجسم الهورقليائي ثم يسري التأثير إلى باقي الأجساد والأجساد.

وكذلك تفهم لماذا تمر عليك بعض الأيام في السنة يكون فيها جسدك العنصري في صحة وعافية ولكنك تشعر بتعب النفس وضيقها؟!

لأن الأبراج أو الطوالع قد تكون غير مناسبة في هذه الفترة لجسمك الهورقليائي.. فتحتاج إلى عكس ذلك التأثير المباشر عليه ببعض الأعمال المشروعة، كالإكثار من الصلاة على محمد وآل محمد عليهم السلام، والمداومة على الطهارة، والصدقة، وغير ذلك.

---

(١) لقد تحدث الغرب في مواضيع كثيرة عن الجسم الهورقليائي، ولكنهم اصطلحوا عليه بالجسم الأثيري، ومن تلك المواضيع: الإسقاط النجمي، الحلم الواعي.. لوكان لديك المزيد من الوقت اطلع قليلاً على كلماتهم في هذا الجسم، وحقيقة وجوده معك في عالم الدنيا. انظر/ كتاب: العوالم الكونية السبعة وأجساد الإنسان السبعة ـ نوفل محمد داوود.

وبعد الموت.. يعدم الجسد العنصري، ويبقى الجسد الأصلي مستديراً في القبر، أما الروح فتخرج إلى عالم البرزخ بالجسم الأصلي يحملهما الجسم الهورقليائي.

فتبقى هناك تنعم في جنان الدنيا أو تعذب في نيران الدنيا، ويصل من ذلك النعيم أو العذاب إلى الجسد الأصلي الموجود في القبر[١].

وبعد نفخة الصور يبطل الجسم الهورقليائي، فتبعث الأرواح في الجسم والجسد الأصليان[٢].

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما أجسامهم: فمن محض الإيمان يخد له خد من الجنة إلى قبره، يدخل عليه منها الروح إلى يوم القيامة. ومن محض الكفر والنفاق محضاً، يخد له خد من النار إلى قبره، يدخل عليه منها الشرور والدخان إلى يوم القيامة). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٨٢].

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (هذا الإنسان له جسدان وجسمان: فالجسد الأول: من العناصر المحسوسة، ونريد به هذه الصورة والتركيب في الدنيا؛ لأنه إذا مات وكان تراباً ذهبت هذه الصورة، فإذا أعيد على هذه الصورة بعينها ليست هي الأولى، مثل ما مثلنا لك في الخاتم، ومثل ما مثل الإمام عليه السلام باللبنة، وهذه الصورة هي الجسد الأول الذي لا يعود وهو مخلوق من العناصر المحسوسة وهو الكثافة. والجسد الثاني: هو الباقي وهو الذي يعود وهو مخلوق من عناصر هورقليا، أعني العالم الذي قبل هذا العالم؛ معناه: ملك آخر، وهذا أسم لتلك الأفلاك، وفي أرضها بلدان جابرسا وجابلقا. والجسم الأول: هو الذي يلبسه الروح في البرزخ ما بين الموت إلى نفخة الصور الأولى، فإذا نفخ في الصور وبطل كل روح وكل متحرك أربع مائة سنة طهر ذلك الجسم عن أوساخ البرزخ وكثافته بالنسبة إلى عالم الآخرة، وهذه الكثافات هي مرادنا من الجسم الأول الذي لا يعود. ويبقى الجسم الثاني الجوهري الصافي حتى تحله الروح، وتمضي معه إلى الجسد الثاني بين أطباق الثرى؛ فتدخل بجسمها فيه، فيخرج في النشور من القبور والحساب بجسمه وجسده الصافيين، وهما هذا الجسم والجسد الموجود في الدنيا؛ وإنما يطهر، لعن الله من قال بغير هذا). [رسالة في جواب بعض الأخوان في المعاد الجسماني "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٥ ص٥٣١].

ولمزيد من التوضيح..

دعنا نطبق هذه النظرية على مثال رحلتك إلى سطح القمر، كالتالي:

تخيل أن عالم الغيب الذي نزل منه الإنسان هو عالم الأرض، والفترة البرزخية التي قطعها أثناء نزوله (برزخ عالم هورقليا أو عالم المثال)، هي نفس الفترة البرزخية التي ستقطعها من الأرض إلى القمر.

ودار التكليف بالدنيا هي سطح القمر دار الإستشكاف.. والثوبان اللذان يلبسهما فوق جسمه وجسده الأصليان في عالم الدنيا، كما هما الثوبان اللذان لبستهما على سطح القمر؛ ليسا من أصول ذاتك، بل هما عرضيان.

وإذا انتهت الرحلة يعود إلى ما منه بدء.. فينزع تلك الأثواب في قوس صعوده كلما مر على العالم الخاص به.

فينزع الجسد العنصري إذا خرج من عالم الدنيا، كما تنزع الثوب الخاص بسطح القمر إذا خرجت منه، وينزع الجسم الهورقليائي إذا خرج من عالم البرزخ، كما تنزع الثوب الخاص بالمكوك إذا وصلت إلى الأرض.. لانتهاء الحاجة إليها.

وإذا تأملت جيداً في هذه النظرية؛ فقل لي:

هل الروح تنتقل وتبقى في عالم هورقليا (البرزخ) من دون جسم في نظرية الشيخ أحمد الأحسائي، أما أن هناك جسم يحملها؟

بالطبع.. هناك جسم!

فقد صرح أن الروح تخرج إلى عالم البرزخ بالجسم الأصلي يحملهما الجسم الهورقليائي[1].. فحل بهذه النظرية الإشكال الوارد على أصحاب الرأي الأول!

حسناً..

تبقت لدينا نقطة هامة في هذا الموضوع أود منك الالتفات إليها، وهي:

ذكرنا سابقاً أن الجزء العلوي (أفلاك وسماء) من عالم هورقليا له طبيعة مجردة لتماسه مع عالم الدهر؛ وأن كل شيء مخلوق من هذا الجزء يأخذ نفس تلك الطبيعة.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (فإذا كانت الروح في عالم البرزخ فهي في الجسم الأصلي، ولحقه جسم من البرزخ ليس منه وإنما هو عرض زائل، فإذا كان يوم القيامة عاد الإنسان كله، وتخلف عنه ما ليس منه). [رسالة في جواب الملا محمد حسين الأناري "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص٤٥٢].

فإذا كان الجسم الهورقليائي قد خلق من عناصر أفلاك هورقليا ؛ فهذا يعني أن له طبيعة مجردة!

وعلى ذلك.. كيف يكون النعيم والعذاب حسيان في البرزخ؟

فنحن نتكلم هنا عن جسم له طبيعة مجردة، وعن نعيم وعذاب لهما طبيعة محسوسة برزخياً!

أستطيع تقديم الجواب لك في عدة نقاط:

الأولى: إن الشيخ أحمد الأحسائي خالف القوم في مصطلح "التجرد"[١] ؛ فالله ـ سبحانه وتعالى ـ (الصانع) هو المجرد المطلق، وأما باقي الأشياء (الصنع والمصنوع) فهي مركبة من مادة وصورة، أو وجود وماهية[٢].

(١) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٥٩.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما عندنا فلا نريد بالمجرد عن مطلق المادة إلا الواجب الحق ﷻ، وكل ما سوى الذات القديم تعالى فهو ليس بمجرد عن مطلق المادة، بل ما هو غير الذات البحت تعالى فهو محدث، وكل محدث فإنما خلق من مادة وصورة محدثتين مخترعتين لا من شيء. نعم، المادة لا تنحصر في العناصر، بل تكون مادة عنصرية للحوداث التي في الأرض وما عليها وما تحتها، ومادة طبيعية للأفلاك والكواكب وملائكتها، ومادة برزخية لهورقليا وجابلقا وجابرسا ومن فيها، ومادة جوهرية للنفوس، ومادة نورانية للعقول، ومادة سرية لعالم الأمر، ومادة عرضية للأعراض والصفات، فمادة كل شيء بحسبه، وكذلك المميزات فإنها في كل رتبة من مراتب الممكنات الراجحة والمتساوية من نوع هيئات تلك الرتبة، فالنفس مجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية، لا أنها مجردة عن مطلق المادة، ومميزاتها من نوع هيائتها). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١١١-١١٢].

فالجسم الهورقليائي مركب من مادة عنصرية (كثافات وأعراض برزخية)، وصورة برزخية[١].. تجري عليهما أحكام الرتبة البرزخية ولوازمها، فيتأثران بالنعيم والعذاب البرزخي، ويبطلان بعد نفخة الصعق.

كما يتأثر لباس المكوك ـ في المثال السابق ـ بما يجري أثناء الفترة البرزخية من الأرض إلى القمر، أو من القمر إلى الأرض؛ بالخدش، وظهور الوسخ عليه، ويبطل بعد وصولك إلى الأرض.

الثانية: حينما يستخدم الشيخ أحمد الأحسائي مصطلح المجرد مع غير الله ـ سبحانه وتعالى ـ، لا يقصد به التجرد المطلق، أو البساطة البحتة في قبال التركيب؛ وإنما يريد به المجرد عن أحكام ولوازم غيره، لا عن أحكام ولوازم نفسه.

فمثلاً..

العقول تلحقها أحكام عالمها.. وحينما يقول بأنها مجردة، لا يريد بذلك التجرد المطلق؛ وإنما التجرد عن أحكام ولوزام غيرها، كالتجرد عن المادة العنصرية، والصورة النفسية والمثالية، والمدة الزمانية.

---

(١) ولذا كان يطلق الشيخ أحمد الأحسائي على هذا الجسم الهورقليائي بمصطلحات أخرى؛ كالجسم العرضي، وكالجسم البرزخي، وكالصورة البرزخية.

والجسم الهورقليائي تلحقه أحكام عالمه.. وحينما يقول بتجرده، لا يريد بذلك التجرد المطلق كذلك، وإنما التجرد عن أحكام ولوازم غيره، كالتجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية.

إذا فهمت ذلك..

ستدرك أن مادة هذا الجسم تلحقه أحكام البرزخ، فيتأثر بالنعيم والعذاب البرزخيان في جنان ونيران الدنيا؛ فهو ليس مجرداً عن أحكامه البرزخية.

ولكن لا يتأثر بالمادة العنصرية الكثيفة؛ فلا يلتذ بطعام عالمنا أو يحترق بناره، وإنما يحصل ذلك للجسد العنصري الغير مجرد عن هذه الأحكام الدنيوية[1].

ولا يتأثر كذلك (الجسم الهورقليائي) بالمدة الزمانية في عالم الدنيا؛ فيستطيع قطع المسافات في عالم الأرض؛ لأنه مجرد عن أحكام الكثافة.

هل أدركت الآن.. كيف ينتقل الميت بطرفة عين من مكان إلى آخر إذا نزل إلى عالمنا بجسمه الهورقليائي أو البرزخي؟

---

(١) نعم يناله التأثير ولكن بالعرض، وليس أولاً وبالذات كالجسد العنصري، وقد ذكرنا ذلك سابقاً في حديثنا.. فراجع.

الطريق الأول للانتقال إلى عالم هورقليا (الرؤى)

بعدما توصلنا إلى كيفية انتقال الروح إلى عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي ؛ فتعال معي ـ عزيزي القارئ ـ لنتعرف على طرق الانتقال إلى ذلك العالم لديه.

ودعني أحدثك في هذا الموضوع عن الطريق الأول، وهو الرؤى في المنام![1]

فهل حصلت لك رؤية منامية في حياتك؟

من المؤكد أن الجميع قد حصل له ذلك.. فانصب إهتمام الكثير في جمع المعلومات التي تتعلق بالرؤى، أو تدور في مداره، خصوصاً

---

(١) ورد عن عن محمد بن القاسم النوفلي قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام: المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها، وربما رآى الرؤيا فلا تكو شيئاً: فقال: «إن المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكلما رآه روح المؤمن من ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحق، وكلما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام، فقلت له: وتصعد روح المؤمن إلى السماء؟ قال: نعم. قلت: حتى لا يبقى شيء في بدنه. فقال: لا، لو خرجت كلها حتى لا يبقى منها شيء إذاً لمات، فقلت: فكيف تخرج؟ فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوؤها وشعاعها في الأرض، فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٥٨ ص٣٢ ب٢٢/ حقيقة النفس والروح وأحوالهما ح٦].

حينما وفرت صدارة كتب تفسير الأحلام المصفوفة على الأرفف مادة غنية لتزويدهم ؛ فصارت الشريحة الكبيرة حاملة لبعض الثقافة الموضوعية في الرؤى وتفسيرها.

فما هو الشيء الجديد الذي يمكن تقديمه في حديثنا؟

الجديد الذي أريد أن أحدثك عنه هو :

إن الشيخ أحمد الأحسائي يمتلك رأياً حكمياً ـ فلسفياً ـ في رؤى المنام ؛ تمكن من خلاله حل العديد من الأمور التي لا تزال ترتفع وتهبط في وتر الأبحاث الخاصة !

ويمكنني صياغة رأيه بهذه البساطة..

إن الإنسان في حال النوم تترك روحه الجسد العنصري[١] ، وتكون في جسمها الهورقليائي أو المثالي ؛ فيستطيع أن ينتقل حينئذٍ إلى عالم هورقليا ، ويرى ذلك العالم وسكانه ، وكيف هي أحوالهم ، وماذا يوجد فيه.. لأنه في هذه الحالة فقد الكثافة المانعة له من الانتقال إلى

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي : (وهذا العالم إذا خلعت جسدك في النوم رأيت ما هناك ، لأنك إذا دخلت في النوم خلعت الجسد العنصري الكثيف.. وهذا الجسد الذي خلعته عند النوم هو الذي يدرك في هذه الدنيا العناصر الأربعة الزمانية المعروفة من المزاج المتركب منها الساري بالأغذية من الطعام والشراب ، وإذا خلعته لم تدرك بهذه الأبصار وإنما تدرك بأبصار أهل ذلك العالم). [رسائل الشيخ ـ الشيخ أحمد الأحسائي : ج١ ص١٠٤].

ذلك العالم، واكتسب الآلة التي تساعده على ذلك، وهي الجسم الهورقليائي.

ولكن.. مهما كان يبدو رأيه بسيطاً؛ إلا أن هناك بعض الأمور التي يجب أن نتحدث عنها في مجمل منهجه لنستطيع الوقوف على الدقائق والحقائق الهامة فيه، ومنها:

الأمر الأول: إن الشيخ أحمد الأحسائي لا يقصد في رأيه مطلق الرؤى؛ بل هناك ضوابط معينة لابد أن تأخذ بعين الاعتبار لنستطيع القول بأن هذه الرؤية واقعة أو متحققة في عالم هورقليا.. فليس كل رؤية تراها تكون من ذلك العالم[1].

ومن هذه الضوابط:

١ـ حركة الأفلاك، ومواقع النجوم والكواكب.. فالمنزل النازل فيه القمر والبرج والطالع من الأمور الهامة المأخوذة في تحديد صدق الرؤية من كذبها.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي ـ في الرؤيا ـ: (وأما عالمها فهو عالم البرزخ والمثال الذي هو وراء الأجسام، فإن كانت صحيحة كان قد شاهد أشباح ما ينزل من عالم الغيب إلى الشهادة في عالم البرزخ من هورقليا، وإن كانت باطلة كان قد شاهد أظلة ما يعرض له في خياله من أوضاع الأبخرة، وأوهام النفس التي تتقدر بأشباح الشياطين في أرض العادات والطبع من جابلقا وجابرسا؛ فهذا عالمها فافهم). [رسالة في جواب بعض الأخوان "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١١ ص١٨٨].

٢ـ وقت الرؤيا.

هل نهاراً أم ليلاً؟

في بداية النوم أم في نهايته؟

فقد تكون رؤية بداية النوم كاذبة بسبب تأثير أبخرة الطعام، أو من الأفكار النفسانية (أضغاث الأحلام).

٣ـ قابلية الإنسان.

للقابلية مدلول واسع في حقائق الرؤى الواقعة في عالم هورقليا من حيث لطافة مرآة النفس وكثافتها[١].

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وأما أصل الرؤيا، فاعلم: أن الروح المدبرة للبدن إذا لحقها ملال باستعمال آلاتها في تدبير الغذاء بتصفيته ودفع غرائبه ووزنه وتقديره أجتمعت في القلب فاستراحت فضعف الارتباط بها، ورق حجابها؛ فتتذكر عالمها الأعلى، إلا أنها قد علقت بها ثاء الثقيل ولحقها صفات من الأعمال الحميدة والذميمة؛ فإذا التفتت إلى العالم الأعلى شاهدت ما هنالك مما تفور به فوارة القدر، فتنتقش في مرآتها صور ما يظهر من هنالك، وتكون صحة ذلك الانتقاش وبطلانه وكماله ونقصه على حسب استقامة المرآة وعدمها في الكم والكيف والوضع، وذلك على حسب ما اتصفت به من الصفات المستفادة من الأعمال، فإن كانت حميدة استقامت وكملت وصلح الانتقاش، فكان ما تعاين هو الواقع، وإن كانت ذميمة فعلى العكس، وإن كانت ممزوجة كان ما فيها ممزوجاً، فافهم الإشارة فهذا أصل الرؤيا). [رسالة في جواب بعض الأخوان " تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١١ ص١٨٧].

فكلما لطفت النفس (بالطاعات) زادت قابلية الإنسان؛ فاستطاع مشاهدة حقائق الأشياء على ما هي عليه من اللطافة في ذلك العالم، وكلما كثفت النفس (بالمعاصي) قلة قابلية الإنسان؛ فيشاهدها متشخصة بنفس خصائص عالمه الكثيف.

وهذه النقطة تفتح لنا أفق الإدراك أمام الرؤى الصحيحة التي يراها البعض؛ وتكون لها أحداث متشخصة بنفس خصائص عالم الدنيا الكثيف.

كما لو رأى ميتاً يجلس في غرفة وفيها كرسي وسرير وصحن فاكهة متشخصة بنفس المشخصات الموجودة في عالمنا.. وكما لو رأى نفسه يمتلك نفس ممتلكاته، كنفس ثوبه، ونفس سيارته، ونفس منزله.

فهو يشاهد الأشياء بصور كثيفة بالرغم من أن لها حقائق لطيفة في ذلك العالم!

والسبب؟

نقص قابليته.. (أي بسبب كثافتها وقلة لطافتها).

فتأتي هنا وظيفة علم تفسير الأحلام!

إذ المعلوم اختلاف الطبائع بين العالمين، لعالم الملك السفلي طبيعة كثيفة، ولعالم الملك العلوي طبيعة لطيفة.. وحينما يرى النائم رؤية متشخصة بنفس طبيعة عالم الملك السفلي، فالكشف عن حقيقتها اللطيفة الموجودة بها في عالم هورقليا يحتاج إلى تفسير.

فقد ترى أنك تشرب لبن ويفسر بالعلم، وقد ترى أنك تسبح في ماء فيدل على راحة البال والحياة الطيبة.. وقد ترى نار فتدل على مال حرام أو على الهم والضيق، وقد ترى أنك تصارع أفعى فتدل على غلبتك على العدو.

ودعني أقرب لك الأمر بهذا المثال:

لو وقفت أمام منظر جميل من مناظر الطبيعة، وأخذت تشاهده وأنت تلبس نظارة عدستها حمراء اللون، فسوف تشاهد ذلك المنظر وكل ما يوجد فيه باللون الأحمر.. أليس كذلك؟

أما لو خلعت تلك النظارة فسوف تشاهد المنظر على ما هو عليه في حقيقته.

إن الأمر هكذا في حديثنا..

فلا يمكن معاينة حقائق عالم هورقليا، أو الاطلاع على سكانه بحقيقة أحوالهم، سواء في جانب نعيمهم أو عذابهم؛ إلا بالآلة التي تصلح لذلك، وهي الآلة اللطيفة.[١]

الأمر الثاني: يتأثر الجسد العنصري بما يراه النائم في عالم هورقليا.

ومن المؤكد أن هذا الأمر قد حصل في العديد من رؤياك!

فهل مرت عليك رؤية حسنة، ولما جلست من النوم كانت حالة جسدك منسبطة ونفسك منشرحه.. بل وقد تتبسم من جمال أحداثها؟

---

(١) يذكر الشيخ أحمد الأحسائي هذه الرؤية في أكثر من موضع في كتبه، وهي تبين ارتباط القابلية بالرؤى، وكيف كانت له قابلية رؤية الأشياء على حقيقتها في عالم هورقليا: (ولقد كنت في أول أمري مقبلاً على شأني، منقطعاً عن الخلق في أغلب أحوالي، وكنت أرى في المنام أموراً عجيبة، وبيانات لما أشكل عليّ في اليقظة، لا أكاد أحصيها، لا يخالف منها شيء شيئاً من الأمور المنقولة والمعقولة، وقد أتت بلدنا امرأة من العامة، فاجرة ذات علم، وقد تولعت بها الزناة، حتى ماتت في بلدنا، وكانت جميلة الصورة، فرأيت في المنام مقبرة فيها قبور، يفور منها الشرر والدخان، ورأيت بعض الرجال فيها أمواتاً غير مقبورين، بل هم جيف مرمية، وأجسامهم عظيمة، وهي مفتولة كالحبال والخيوط، بصور تذهل من قبحها العقول، ورأيت تلك المرأة الفاجرة، وكان اسمها (حسناء) جيفة عند تلك القبور غير مقبورة، وهي في صورة فرس عظيمة قبيحة المنظر، لا يكاد الناظر إليها يملأُ عينه منها لقبحها، وذلك لما كانت الفرس الغالب عليها شهوة النكاح جداً، كما ذكره العلماء والحكماء في خواص الحيوانات). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٥٤].

وهل مرت عليك رؤية سيئة، ولما جلست من النوم كان جسدك يعرق من الخوف، ونبضات قلبك تتسارع؟

يحدث ذلك لأنه لا يزال هناك ارتباط بين الجسم الهورقليائي والجسد العنصري في التأثير.. فالنائم ليس كالميت تنفصل بينهما هذه العلقة.

أما الميت إذا انتقلت روحه إلى عالم هورقليا بجسمها الهورقليائي (أو البرزخي)، فلا يصل تأثير النعيم أو العذاب إلى الجسد العنصري، لأنه يضمحل بعد الموت، وإنما يصل إلى الجسد الأصلي المستدير في القبر، فينعم أو يعذب تبعاً لما يحدث للجسم الهورقليائي من النعيم في جنان الدنيا أو العذاب في نيرانها.[١]

وهذا مفاد قول النبي الأعظم محمد ﷺ: «القبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران»[٢].

الأمر الثالث: يتأثر تحقق ما يراه أو يعاينه الإنسان من عالم هورقليا في عالم الدنيا بأمور؛ ومنها:

(١) انظر/ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٨٢.

(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٦ ص٢٧٦.

١ـ الفعل الذي يقوم به بعد الرؤيا

فهل صادف أن رأيت رؤيا محددة، وبعد فترة من الزمن تحققت مضامينها في عالم الدنيا؟

إن الأمر مرتبط بقانون الإحاطة الذي تحدثنا عنه سابقاً.

فذلك العالم محيط بهذا العالم، ويسبقه زماناً ومكاناً.. فقد تلتقي بأحد الأموات ويخبرك عن المستقبل أو عن الماضي، وقد تطلع أنت على مستقبلك أو على أمر من أمور ماضيك.

ولكن.. هل تعلم:

إن تحقق ذلك من عدمه مربوط بما ستقوم به بعد رؤياك؟!

فقد ترى رؤية صادقة حسنة في عالم هورقليا، ويتحقق حسنها في عالم الدنيا بسبب الأعمال الصالحه التي تفعلها بعدها، وقد لا يتحقق بسبب هدمك لحقيقة حسنها بالأعمال المضادة لها؛ أي: الأعمال الطالحة.

وقد ترى رؤية صادقة سيئة في عالم هورقليا، ولا يتحقق سوءها في عالم الدنيا بسبب دفعك لحقيقتها بالأعمال الصالحة التي تفعلها بعدها؛ كالصدقة مثلاً، وقد يتحقق بسبب استجلابك لما يوافق حقيقتها من الأعمال الطالحة.

ودعني أبسط لك الأمر بهذ المثال:

في الرؤية الصادقة الحسنة.. تخيل نفسك تاجراً وسافرت إلى بلد بعيدة، ووجدت هناك نوع من أنواع التجارة المربحة الغير موجودة في بلدك، ولنفرض ـ مثلاً ـ نوعاً من أنواع التجارة الإلكترونية الجديدة؛ فانقدحت في ذهنك فكرة التكسب منها.

فحينما تعود إلى بلدك سيكون أمامك خياران: إما أن تسعى في تحقيق فكرة التجارة تلك لتعود عليك بالأرباح، فتعمل ما يساهم في ذلك المشروع، وإما ألا تفعل شيئاً؛ وهنا لن يأتي إليك أي ربح من أصل تلك الفكرة.

وأما في الرؤية الصادقة السيئة.. تخيل نفسك مزراعاً وسافرت ـ أيضاً ـ إلى بلدة بعيدة، وقبل خروجك منها نشرت الأرصاد الجوية بوقوع طوفان عظيم بعد عدة أيام، وله اتجاه يقع في نطاق بلدك.

فحينما تعود إلى بلدك سيكون أمامك خياران: إما أن تصنع قبة كبيرة فوق مزرعتك لتحميها من ذلك الطوفان، وإما ألا تفعل شيئاً؛ فتكون قد ساهمت في خسارة مزرعتك.

٢ـ الذي يقوم بتفسير الرؤى

الكثير من الناس يلجأ إلى مفسرين الأحلام لتبيان مضامينها من دون الالتفات إلى هذه النقطة الهامة، وهي:

تأثير قابلية المفسر في رؤياك!

فقد تكون رؤيتك حسنة، وبسبب تفسيره لها يتغير مضمون وقوعها، والعكس لو كانت سيئة.[١]

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (فإذا رأى الشخص شيئاً في السماء ولم يحصل له مانع مما أشرنا، من خصوص الأوقات والقرانات والأفعال والأبخرة، أو في الأرض، وحصل له مقتضى الحق من خصوص الأوقات والقرانات والأعمال، والخفة من فضولات الطعام والشراب، أو كانت رؤياه في الليالي المقتضية لظهور الآثار المسعودة من ذاتها لأدوار أوضاع الأفلاك، أو بالقرانات والأعمال الصالحة مع عدم الموانع المشار إليها، كان ذلك حقاً. فإن تمت الأسباب المقتضية بلا مانع فإن كانت موجبات وقعت الرؤيا بعينها بلا مهلة، أن الرائي رآها خارجة بعينها من باب القضاء، وإن تمت المقتضيات الغيبية كذلك خاصة بدون الشهادة خرج تأويلها بلا مهلة، وإن كان في بعض تلك الأسباب ضعف ونقص من جهة القابلية التي هي مرآة الشخص التي هي خياله وحصل لها تعبير وقعت لذلك؛ لأن التعبير يفتح على مرآة خيال الرائي باب القدر الذي تنزل منه تلك الأسباب، فإذا عبر المعبر انطبع به في خيال الرائي صورها هناك على هيئة التعبير، فيكون الطيف المرئي في المنام متلبساً بهيئة التعبير، فيقوى به ما كان ضعيفاً من تلك المقتضيات، ولهذا تراه إذا عبر له المعبر التفت خياله إلى ما رأى في المنام، فتصور فيه صورة التعبير، وانصرف ما في قلبه من معنى رؤياه إلى المعنى الذي يظهر له من المعبر، وإن كان كذباً فتتغير الرؤيا بهيئة أخرى غير الأولى، فيجري الحكم والمطابقة على الثانية. وإن رأى الشخص في منامه شيئاً وهو متلبس بخلاف ما أشرنا إليه من شرائط الصدق ومقتضياته كان ما رآه مخالفاً للواقع فيكون كذباً). [رسالة في جواب بعض الأخوان "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ ص١٨٥ـ١٨٦].

الطريق الثاني للانتقال إلى عالم هورقليا (تصفية النفس)

حينما تسمع هذه العبارات "تهذيب النفس، معراج الروح، السمو الروحي.." ؛ ماذا تثير في نفسك؟

الروحانية، المعنوية، قطع العلائق الدنياوية والعروج إلى عالم الملكوت.. أليس كذلك؟

وبشكل عام..

لقد تحدث عن تصفية النفس العرفاء والصوفية والبوذية والرهبان وغيرهم ؛ كموضوع من المواضيع الهامة في كتب السلوك. واستخدموا مصطلحات عديدة لوصف مكنونه، كما استخدموا طرائق عدة لتحقيق غايته.

منها ما وافق الشريعة الإسلامية، فقامت أساساته على المشروعات ؛ كالصلاة والصيام والأذكار والأوراد المشروعة، ومنها ما خالفها وقامت أساساته على الأباطيل ؛ كاستنزال الملائكة بالصور غير المشروعة، واستحضار الجن، والأعمال والأذكار المخالفة التي لم ترد في الشرع.

ولسنا هنا في محضر التحقيق في طرقهم، أو في بيان الصحيح من الخاطئ منها؛ فهذا الأمر خارج عن إطار بحثنا.

وإنما نحن نقف أمام موضوع تصفية النفس عند الشيخ أحمد الأحسائي.. عارف متآله، حكيم من حكماء الشيعة الإمامية، وله في هذا الموضوع كلمات عديدة في مصنفاته نستشف من وضوحها المباني التي التحمت مع الشرع الإسلامي الأصيل، والمحاربة والنبذ لجميع الطرق المخالفة؛ كطريقة الصوفية، وغيرهم.[١]

فماذا يقول الشيخ أحمد الأحسائي في تصفية النفس؟[٢]

---

(١) انظر/ كتابنا (الشيخ الأوحد "حكيم أم صوفي" دراسة تحليلية لقضية العرفان الإسلامي عند الشيخ أحمد الأحسائي).. فقد بحثنا في هذا الكتاب المنهج العرفاني عنده، بجانبيه: العلمي والعملي.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أقول: العارف في هذه الدنيا، إذا ظهر سلطان الآخرة على ذاته، من جهة عقله على سائر بدنه، حتى امتثل أوامر الله، واجتنب نواهيه، كما يحب الله، واستقام على ذلك، كان امتداد عقله من النور، كما قال الصادق عليه السلام: «دعامة الإنسان العقل، ومن العقل الفطنة، والفهم والحفظ والعلم... وبالعقل يكمل، وهو دليله ومبصره، ومفتاح أمره»، فإذا كان تأييد عقله من النور، كان عالماً حافظاً، ذاكراً فطناً فهماً، فعلم بذلك كيف ولم وحيث، وعرف من نصحه، ومن غشه، فإذا عرف ذلك عرف مجراه، وموصوله ومفصوله، وأخلص الوحدانية لله، والإقرار بالطاعة، فإذا فعل ذلك كان مستدركاً لما فات، وارداً على ما هو آت، ويعرف ما هو فيه، ولأي شيء هو هيهنا، ومن أين يأتيه، وإلى ما هو صائر، وذلك كله من تأييد العقل. فإذا كان في الدنيا كذلك، فقد أمات نفسه، وقامت قيامته، كما قال صلى الله عليه وآله، فيشاهد أحوال الآخرة وأهوالها، لأنها كلها الآن موجودة بالفعل. وإنما غطاها عن أهل الدنيا الغواشي الدنيوية، والحجب الطبيعية المادية، ومن أمات نفسه فقد كشف الغواشي، وخرق الحجب؛ لأنه قد جمع قلبه على ما يحب الله، فقذف الله سبحانه في قلبه العلم واليقين). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١١٩ـ١٢٠].

ببساطة..

تصفية النفس عنده تكون بامتثال أوامر الله ﷻ، واجتناب نواهيه، فإذا فعل الإنسان ذلك قوى جانب النور فيه، ومات جانب النفس.. فيصل بعد مدة إلى مرحلة تسمى بالموت النفسي!

ما هو الموت النفسي؟

هو حالة من حالات الصفاء الروحي التي يصل إليها السالك بعد تخليص نفسه من الأغيار وأكدار الكثافات الدنيوية المادية.

وهذه المرحلة ليست هي غاية العارف الحقيقي، وإنما هي من مزايا طريق سلوكه إلى الله ﷻ.

ودعني أبين لك هذه النقطة بهذا المثال..

صالة القوى الرياضية..

هناك أصناف عديدة من الذين يتمرنون في هذه الصالة، فمنهم من يريد بناء كتلة عضلية فقط، ومنهم من يريد الفوز بميدلية إحدى المسابقات العالمية مثلاً.

الأثنان سوف يتمرنان، ولكن غاية الأول تختلف عن غاية الثاني؛ مع أن الكتلة العضلية سوف ينالها الثاني أيضاً في أثناء تمرينه.

والأمر هو هكذا في السلوك.. فهناك من يرتاض للوصول فقط إلى هذه المرحلة، وهناك من تكون غايته حقيقة، وهي القرب من الله ﷻ، وسوف يمر بهذه المرحلة أيضاً (مرحلة الصفاء الروحي).

وقد تتسأل الآن:

لماذا قد يرتاض البعض، فيحاول تصفية النفس ليصل إلى مرحلة الموت لنيل حالة الصفاء الروحي؟

لأن هناك العديد من المزايا التي سوف يتمتع بها الواصلون إلى هذه المرحلة، ومن أهمها اكتساب الآلات اللطيفة!

كالعين البرزخية التي يستطيع بها مشاهدة حقائق الأشياء على ما هي عليه[1].

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (أقول: إن العارف الواصل، متحقق بالسير في أفعال الصنع، بأن قرأ القرآن، وكشف الله عن بصيرته الأغشية والحجب، بحقيقة ما هو أهله، وصدقه مع الله تعالى مع توفيق الله سبحانه، وسبق العناية له من الله تعالى، فشاهد من مضى ومن غبر، وكأنما كان في الأولين، واهتدى للتي هي أقوم، ونظر إلى من نجا بما نجا، وإلى من هلك بما هلك، فإذا استقام على الإقبال إلى الله، والإخلاص لله، شاهد الأشياء على حقائقها الأصلية، بمشعر ذاتي، بنسبة واحدة في الدنيا والآخرة، إلا أنه لما كان التخلص في الدنيا إنما هو بالوجدان، كان إذا نظر من حيث التخلص نظر الأشياء على ما هي عليه، فيشاهد هذه الجبال كالعهن المنفوش، ويراها منسوفة، ويرى الأرض قاعاً صفصفاً ﴿لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلاَ أَمْتًا﴾، وهو ما يظهر من مر الريح على الرمل، وكذا من جرى الماء على الرمل. وإذا نظر من حيث الوجود، وجد الأشياء على ما هي عليه عند أهل الدنيا، ورأى الجبال ثابتة، ولم ير من تلك الحالة التي شاهدها من حيث الوجودان؛ لأنه الآن لم يتخلص إلا من الوجدان والاعتبار، لا من حيث الوجود، لأنه من حيث الوجود مختلط بالأعراض المادية الكثيفة، والأغراض الدنيوية السخيفة). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٣ ص١٢٤ـ١٢٥].

سواء كانت في العوالم اللطيفة كعالم هورقليا فيستطيع أن يشاهد ما هناك من أحوال البرزخ، والملائكة العلوية.. إلخ.

أو كانت في هذا العالم الكثيف، فيستطيع أن يشاهد ما يقع وراء طبيعته الكثيفة؛ كحقائق الناس، وحقائق الجن.. إلخ. وكالقدرة على تحريك الأشياء، وطي الأرض، والمعالجات، والتنبؤ بالأمور المستقبلية.. وغيرها.

وكطول العمر، والقدرة على الغيب عن أعين الناس، كما هو حال رجال الغيب (أصحاب الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف).

فالذين يصلون إلى هذه المرحلة لهم خصوصيات تختلف عن خصوصيات عالمنا الكثيف، وإن كانوا يعيشون فيه.. فإنهم يتمتعون بخصوصيات الآلات اللطيفة.

الطريق الثالث للانتقال إلى عالم هورقليا (الموت)

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ﴾[1].. يمثل الموت آخر نقطة في عالم الدنيا، وأول نقطة للعودة[2] إلى عالم هورقلياء، فدرجته هي أول درجات البرزخ.

وتمثل نفخة الصعق آخر نقطة في عالم هورقليا، وأول نقطة للعودة إلى عالم الدهر، فدرجتها هي أول درجات يوم القيامة.

وهل توافقني الرأي..

الكثير من الناس يهاب الحديث عن مسألة الموت، ويحاول الهرب من موضوعها بقدر الإمكان.. بل وحتى التفكير فيها أحياناً.

ولعل الغموض الملتف حولها، أحد أهم الأسباب الداعية إلى ذلك؛ فالكثير لا يمتلك في هذه المسألة أكثر من فكرة النعيم والعذاب التي سيواجهها بعد الموت.

---

(١) سورة آل عمران: (١٨٥).

(٢) قلت: للعودة؛ لأن الإنسان مر على هذا العالم في قوس النزول، وسوف يعود إليه في قوس الصعود.

وما ذلك إلا بسبب التقصير الذي جاء في عدم إشباعها بالطرح الملائم لإدراكات العقول البسيطة ؛ فالمباحث التي عنت بهذه المسألة ـ كالفلسفية مثلاً ـ لا تخلو سطورها من غموض العبارة، وصعوبة إدراك المطلب.. وفهم ذلك ليس متاحاً للجميع في كل وقت.

وعلى أي حال..

في هذا الموضوع سأحاول زيادة رصيد معلوماتك في مسألة الموت، وذلك من خلال الحديث في ثلاثة أمور ستكشف لنا العديد من الجوانب الهامة فيها.

فتعال معي لنتعرف عليها..

الأمر الأول: إذا حانت ساعة الأجل

إذا حانت ساعة أجل الإنسان، وقبل أن يقبض ملك الموت روحه.. تبدأ علامات الانتقال من عالم الدنيا (عالم الملك السفلي الكثيف) إلى عالم هورقليا (عالم الملك العلوي اللطيف) بالظهور شيئاً فشيئاً.

فتضعف الآلات المرتبطة بالجسد العنصري، وتقوى الآلات المرتبطة بالجسم البرزخي أو الهورقليائي، وهذه الآلات اللطيفة أقوى من تلك الكثيفة بسبعين مرة.

فيضعف البصر الكثيف، ويقوى البصر اللطيف، ويضعف السمع الكثيف، ويقوى السمع اللطيف.. وهكذا مع باقي الآلات.

وظهور هذه العلامات تختلف من إنسان إلى آخر..!

فبعضهم تظهر عليه هذه العلامات قبل أيام من موته، وبعضهم لا تظهر عليه إلا في ساعة الاحتضار.

وحتى تفهم جيداً ما أريد قوله لك هنا، دعني أحكي لك هاتين القصتين الواقعيتين:

القصة الأولى: ذكر لي أحد الأخوة السادة..

كان لديه عم من الأعمام يكسب قوته من العمل بمزرعته، دائم التواجد في المساجد والمناسبات الدينية، قليل الكلام، شديد التواضع، ويعيش الحياة ببساطة تامة.

وفي ذات يوم، اتصل على جميع أفراد العائلة، وطلب منهم الحضور لمأدبة أعدها لهم!

تعجب الجميع من ذلك، فليس من عادته دعوة أحد في هذا الوقت، وبهذا العدد.. فظنوا أن هناك أمراً حسناً قد حصل له، وأحب من الجميع مشاركته في فرحه.

وفي يوم المأدبة..

كان في أوج طاقات نشاطه، يخدم الجميع بنفسه، ويبستم في وجوههم، ويسأل عن أحوالهم.. وهذه لم تكن من عاداته التي عهدناها منه.

وحينما أنتهت وجبة الطعام، جلس في صدر المجلس، ثم قال: لقد جمعتكم في هذا اليوم من أجل إبراء ذمتي.. ولو بدر مني خطأ أو إساءة تجاه أحدكم فأرجوا مسامحتي!

فأخذ يعدد الحضور بالأسم، ويطلب منهم المسامحة!

وفي أثناء ذلك..

سأله أحدهم باستغراب: خير إن شاء الله يا عم.. هل أنت مسافر؟!

فقال: سوف أموت قريباً!!

تفاجأ الحضور كثيراً من جوابه.. وبدل أن ترتسم عليهم علامات التعجب، أخذ البعض منهم يضحك بهدوء، والبعض الآخر أخذ يتحدث إليه قائلاً: أنت على ما يرام.. صحتك جيدة، لا نراك إلا بخير وعافية..

فقال لهم بصوت نبرته منخفضة: إني أرى ما لا ترون!

يقول صاحبي الذي يحكي لي القصة:

بعد أسبوع بالضبط وفي نفس اليوم الذي أقام فيه المأدبة.. توفى عمه!

القصة الثانية: كان هناك أحد الأخوة الأطباء ـ يعمل معي سابقاً ـ لا يعترف بشيء من المعاجز أو الأمور الخارقة للطبيعة، فدستوره هو العلم فقط؛ ولكن تغيرت نظرته لهذا الأمر كثيراً حينما توفت جدته.

فيحكي لي قصتها قائلاً:

قبل أن تتوفى جدتي المسنة بسنة ونصف تقريباً، أصاباها عدد كبير من الأمراض الجسدية؛ لدرجة أنها أصبحت طريحة الفراش، ولا تقوى على الحركة أبداً.. فقد كنا نقلبها باستمرار حتى لا يتقرح جسدها!

وخلال تلك الفترة.. كنت أشرف بنفسي على صحتها، فأزورها يومياً، وأتابع حالتها المرضية وتطوراتها.. حتى وصلت إلى مرحلة يأست فيها من برءها، وتيقنت بقرب أجلها.

وفي يوم من الأيام.. وردني اتصال من أحد أخوتي، يقول فيه بصوت حاد: أين أنت؟

فأجبته: أنا بالمستشفى.

فقال: عليك بالحضور الآن إلى منزل جدتك.

فأجبته: ماذا حدث؟ هل توفت؟

رفع حدة صوته هذه المرة فقال: تعال وستعرف الأمر!!

فذهبت مسرعاً لدرجة أني لا أعرف كيف قطعت المسافة من مقر عملي إلى منزلها، ولما دخلت فاجأني عدد الحضور هناك!

فأعتقدت في بادئ الأمر أن جدتي توفت.. غير أن الأمر لم يكن كذلك.

فحينما نظرت إلى داخل غرفتها، وجدتها تجلس منتصبة فوق سريرها، وأمامها صحن من الطعام تأكل فيه لوحدها.

ماذا يحدث؟ قلتها بتعجب تام!

ثم قلت: جدتي، هل أنت على ما يرام؟

فقالت: أنا في أتم حال، أشعر بصحة وعافية في جسدي لم أشعر بهما في حياتي أبداً!

الكل كان مصدوماً ومندهشاً من حالها، فقد كانت تأكل لوحدها، وتتذكر أسمائنا جيداً، وحينما طلبت منها الوقوف، فعلت أكثر من ذلك، قامت تمشي لوحدها؛ بل أنها في ذلك اليوم قامت للصلاة من وقوف بعدما كنا نقلبها على الفراش قبل هذا اليوم...!!

وختم هذا الطبيب القصة قائلاً: وفي صباح اليوم التالي.. توفت جدتي.

ما رأيك ـ عزيزي القارئ ـ بهاتين القصتين؟

هل سمعت سابقاً بقصص مشابهة لهما؟

هناك العديد من القصص التي تتحدث عن الأحوال التي تصيب بعض الموتى قبل الموت.. وقد كُتبت كتابات كثيرة حول هذا الموضوع، واجريت دراسات عديدة فيه لتفسير الأمور التي تحدث لهم، والتي عادة ما تكون خارجة عن إطار المألوف الطبيعي.

الأمر الثاني: ساعة الاحتضار

إذا بدأت علامات الانتقال بالظهور، وقبل أن يقبض ملك الموت الروح، يصل الإنسان في ساعة الاحتضار إلى مرحلة يكون فيها قد تمكن من الدخول في عالم هورقليا (البرزخ)!

فإذا وصل إلى هذه المرحلة..

يفقد تماماً خصوصيات الآلات الكثيفة للجسد العنصري، ويكتسب جميع خصوصيات الآلات اللطيفة للجسم الهورقليائي (البرزخي).

فيفقد البصر الكثيف، ويكتسب البصر اللطيف، ويفقد السمع الكثيف، ويكتسب السمع اللطيف، ويفقد الحركة الكثيفة، ويكتسب الحركة اللطيفة.. وهكذا.

وفي هذه الحالة تكون للمحتضر خصوصيتان:

الخاصية الأولى: يستطيع مشاهدة وسماع كل ما يوجد في العالم الذي ولج فيه (عالم البرزخ).

وأول شيء سوف يشاهده ويسمع صوته هو ملك الموت!

فهناك لقاء حضوري سوف يكون بيننا وبين ملك الموت قبل قبض الروح، كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[١].

من هذه النقطة تفهم..

لماذا فقط المحتضر يشاهد ملك الموت، ونحن لا نستطيع ذلك؟

لأن قبض الروح لا يكون في عالم الملك الكثيف (الدنيا)؛ بل في عالم الملك اللطيف، في بداية عالم هورقليا (عالم المثال)[٢].

إذ لو كان قبض الروح يحدث في هذا العالم الكثيف لوجب أمران:

الأول: أننا سوف نستطيع أيضاً مشاهدة ملك الموت.

الثاني: لابد لملك الموت أن يتصور بصورة بشرية لمقتضى خصوصية عالم الدنيا، كما كان يتصور جبرئيل عليه السلام بصورة دحية الكلبي حينما ينزل على النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) سورة البقرة: (١٨٠).

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي: (فإذا حضر ملك الموت لقبض الروح فإنما يقبضها في المثال، ويكون النعيم والأليم لها فيه). [رسالة في جواب الشيخ محمد بن الشيخ حسين البحراني "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج١٣ ص٣٩].

وهذه الرواية تبين لزوم تصور ملك الموت بصورة بشرية إذا ظهر في عالم الدنيا.. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «لما حضرت النبي الوفاة استأذن عليه رجل فخرج إليه علي عليه السلام فقال: ما حاجتك؟

قال: أردت الدخول إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال علي: لست تصل إليه، فما حاجتك؟

فقال الرجل: إنه لابد من الدخول عليه.

فدخل علي فاستأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأذن له، فدخل وجلس عند رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: يا نبي الله إني رسول الله إليك.

قال: وأي رسل الله أنت؟

قال: أنا ملك الموت»[1].

الخاصية الثانية: أنه يستطيع مشاهدة وسماع كل ما يوجد في عالم الدنيا.

سواء كان كثيفاً.. فهو يشاهدنا كيف نغسل جسده، ونحمله، ونحثوا عليه التراب، ويسمع أصواتنا، وبكائنا عليه، وتلقيننا أياه للشهادة، وغير ذلك.

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٢٢ ص٥٣٢ ب٢/ وفاته وغسله والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وآله وسلم.

أو كان لطيفاً.. فهو يشاهد حقائق كل الأشياء على ما تبدو عليه، كحقائقنا الباطنية وغيرها؛ ويسمع الأصوات التي تغيب عنا؛ كأصوات تسبيح المخلوقات الأخرى، وهذا مفاد قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيد﴾[1].

واسمح لي بأختبار مدى تذكرك للمواضيع السابقة هنا..

لماذا يستطيع المحتضر ـ والميت ـ مشاهدة وسماع الأمور الكثيفة واللطيفة في هذا العالم؟

فكر في الأمر قليلاً..

هل تتذكر قانون الإحاطة؟

هذا المحتضر انتقل إلى عالم أرفع من هذ العالم الآن؛ فهو محيط بكل شيء موجوداً فيه، زماناً ومكاناً.

حسناً.. هنا نقطة أود الحديث فيها معك، وهي:

في اللحظات التي يتمتع فيها المحتضر بهاتين الخاصيتين، وهما: مشاهدة ملك الموت، والإحاطة بعالم الدنيا.

باعتقادك: ما هو الشيء الهام الذي يرغب بمشاهدته؟

---

(١) سورة ق: (٢٢).

حاول أن تتخيل الأمر..

وتتصور نفسك في مكان المحتضر الآن، ولديك تلك القدرة، وهي مشاهدة ملك الموت، وكل شيء في هذا العالم، كثيفة ولطيفه.

فهل تعتقد بأنك ـ في هذه اللحظات ـ ستهتم بأموالك، مقتنياتك، أهل بيتك...؟

فكر في الشيء الذي سيهمك مشاهدته بتلك اللحظات؟

حتماً.. إنه الشيء الذي سيحدد مصيرك؛ أمن أهل النعيم، أم من أهل العذاب أنت، وهو عملك!

نعم.. عملك.

إن المحتضر في تلك اللحظات سيشاهد جميع أعماله، الصغيرة منها والكبيرة؛ لأن أمثلتها لا تزال متشخصة في أوقاتها وأمكنتها، مكتوبة في قرطاس الزمان.

فقد لا يستطيع الإنسان اليوم بحكم الطبيعة الكثيفة مشاهدة جميع أعماله.. ينسى منها شيء، يغفل عن شيء؛ ولكن غداً في هذ الموقف حينما يكشف له الغطاء سيراها جميعاً حاضرة أمامه، وقبل أن يقبض ملك الموت روحه!!

فقد قال تعالى: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾(١)

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢).

فالحضور والإنباء اللذان جاءا في هاتين الآيتين من أقوى أنواع الشهادة على الإنسان.. إذ أنه يشهد على نفسه بنفسه.

فالشهادة قد تكون بالإسماع، كما لو أوقف القاضي المتهم، وأخذ يسمعه الجريمة التي ارتكبها، فقد ينكر ذلك.

ولكن حينما يحضر له عمله أمامه ـ في تصوير مثلاً ـ، ويجعله يراه، ثم يشهد على نفسه بنفسه، فلا سبيل للإنكار هنا.

وكثيراً ما تتحدث الآيات القرآنية عن هذا النوع من الشهادة، كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾(٣).. وهناك أنواع أخرى من الشهادة؛ كشهادة الله على الإنسان، وشهادة الملائكة، وشهادة الأعضاء والجوارح، وشهادة الجمادات والأعراض.

---

(١) سورة الكهف: (٤٩).

(٢) سورة الجمعة: (٨).

(٣) سورة الإسراء: (١٤).

وفي هذه اللحظات.. بعدما يشاهد المحتضر أعماله، وملك الموت وأقف أمامه، وقبل أن يقبض روحه.

إن كانت صحيفة أعماله بيضاء، ملئها بالصالحات التي يستحق بها الثواب؛ فسيرى ملك الموت بأجمل صورة، وسيسمع النداء الأعلى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّة﴾[1]؛ فيرفق عليه في قبض روحه[2].

إما إذا كانت صحيفة أعماله سوداء، ملئها بالطالحات التي يستحق بها العقاب؛ فسيرى ملك الموت بأبشع صورة، ولن يأتيه النداء؛ بل هو من سينادي كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُون﴾[3]؛ فيغلظ عليه في قبض روحه.

أتمنى أن تكون ـ عزيزي القارئ ـ ممن أعدوا أنفسهم لهذا الموطن الصعب.. فمهما حاولنا وصف الأمر بالكلمات، تبقى الحقيقة رهن الموقف؛ فتزود فإن خير الزاد التقوى.

---

(١) سورة الفجر: (٢٧ـ٢٨).

(٢) انظر/ أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٢٩ـ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون: (٩٩).

الأمر الثالث: في القبر

إذا قبض ملك الموت الروح، ووضع الإنسان في القبر، فإن الناس على ثلاثة أصناف في قبورهم[1]!!

صنفان يسألان، ولهم برزخ في عالم هورقليا (البرزخ)، وصنف لا يسأل، وليس له برزخ هناك، وإنما برزخه في قبره:

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (ثم اعلم أن النفوس الناقصة على ثلاثة أقسام: قسم من محض الإيمان محضاً، وهؤلاء بعد الموت تأوي أرواحهم إلى الجنة التي في المغرب، أعني المدهامتان، وإذا كان فجر يوم الجمعة والأعياد صاح بهم الملك، وركبوا نجائب من نور، عليها قباب الزبرجد، فيأتون وادي السلام بظهر الكوفة، ويكونون هناك إلى الزوال، ثم يستأذنون الملك في زيارة أهاليهم وحفرهم، فيأذن لهم. فإذا كان وقت العصر، صاح بهم الملك، فيركبون نجائبهم، فيطيرون بين السماء والأرض إلى غرفات الجنان.
وقسم من محض الكفر أو النفاق محضاً، وهؤلاء بعد الموت تأوي أرواحهم إلى النار التي عند مطلع الشمس، فإذا كان وقت غروب الشمس حشرت أرواحهم إلى برهوت في حضرموت. وأما أجسامهم فمن محض الإيمان يخد له من الجنة إلى قبره، يدخل عليه منها الروح إلى يوم القيامة. ومن محض الكفر والنفاق محضاً، يخد له خد من النار إلى قبره يدخل عليه منها الشرور والدخان إلى يوم القيامة.
وقسم ليس له محض في شيء، فهؤلاء تكون أرواحهم مع أجسادهم في قبورهم، وليس لهؤلاء برزخ، وإنما ينامون في قبورهم إلى نفخ الصور). [شرح العرشية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص١٨٢].

الصنف الأول: من محض الإيمان محضاً

فهذا الصنف من الناس يسأل في القبر لأنه عقل التكليف.. وإذا انتهى منكير ونكير من سؤاله انتقلت روحه إلى جنان الدنيا لتنعم، ويخد لجسده الأصلي خداً من نعيمه إلى قبره، وله أن يزور قبره وأهل بيته في أيام الأعياد والجمع، وله رجعة مع محمد وآل محمد ـ صلوا الله وسلامه عليهم ـ؛ لأن الرجعة مشروطة بشروط، ومنها محض الإيمان[1].

وهنا نقطة أود منك ـ عزيزي القارئ ـ الالتفات لها، وهي:

إن ماحضين الإيمان على أنواع:

فمنهم أولي الأفئدة، وهم الذين امتحن الله قلوبهم للإيمان؛ كالكمل من الناس.

ومنهم أرباب القلوب، فإن هؤلاء أيضاً من ماحضين الإيمان ليقينهم في مقامهم وتسليمهم بما وراء ذلك[2]؛ كالبسطاء الذين يتمتعون بإيمان صلب كزبر الحديد.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (ولا يزالون كذلك إلى رجعة آل محمد ﷺ فيكرون معهم، لأنهم محضوا الإيمان محضاً، ومعنى أنهم محضوا الإيمان محضاً أنهم عرفوا أمير المؤمنين عليه السلام بالمعرفة النورانية، وأقروا بجميع فضائله. ومعنى معرفته بالنورانية، أنهم يعرفون أنه الصراط المستقيم، وسبيل الله ورحمته ووجه، وعينه الناظرة، وأذنه الواعية). [أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٧٠].

(٢) الرسالة التوبلية " تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٨ ص٦١.

الصنف الثاني: من محض الكفر والنفاق محضاً

وهذا الصنف من الناس يسأل في القبر.. وإذا انتهى منكير ونكير من سؤاله انتقلت روحه إلى نيران الدنيا لتعذب، ويخد لجسده الأصلي خداً من عذابه إلى قبره، وله رجعة[١].

الصنف الثالث: المستضعف

وهذا الصنف لا يسأل في القبر..

وليس له برزخ[٢] في جنان أو نيران الدنيا، وليس له رجعة مع محمد وآله ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ ، وإنما برزخه في قبره.

فإذا مات ووضع في القبر يلهى عنه؛ أي: تنام روحه مع أجساده.. حتى تأكل الأرض الموانع المانعة من فهمه للتكليف، ثم يجدد له الخطاب في يوم القيامة، ويحاسب على أعماله، فإما إلى الجنة أو إلى النار.

---

(١) أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٧٢ـ٧٣.

(٢) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (إن النفوس القاصرة عن درجة الكمال تبقى في القبر لقربها من النفس النباتية أو البهيمية؛ فلا يكون لها برزخ تام متحقق، بمعنى تام اليقظة). [رسالة في جواب الشيخ محمد مسعود بن الشيخ محمد "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٢ ص٣٥٧].

وهذا الصنف على أنواع ـ أيضاً ـ: فمنهم الذين لم يتبين لهم الهدى والضلالة، ومنهم المجانين، والبله.. وغيرهم[١].

ومما سبق ذكره..

هل هناك معلومات جديدة مرت عليك في مسألة الموت؟

أتمنى أن أكون قد وفيت بوعدي السابق، وهو الحديث معك عن جوانب أهم وأعمق في هذه المسألة.

وعلى أي حال..

في نهاية هذا الموضوع أود بيان أمرين يرتبطان بكل ما مر سابقاً.. وهما:

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (السؤال في القبر إنما هو عما كلف به في دار الدنيا، فإن كان الشخص قد عقل التكليف وعرف ما يراد منه صح عتابه، وثبت سؤاله وحسابه، لأنه محض الإيمام أو محض الكفر. وإن لم يعرف في دار الدنيا ما يراد منه بسره، ولم يتبين له الهدى والضلالة، وإن فهم ظاهر التكليف وعمل أو لم يعمل؛ لكنه لم يعقل الأمر، وإنما دخل فيه غيره. والسؤال إنما هو لمن عرف ليسأل عما يعرف، فذلك ممن لم يمحض الإيمان أو الكفر، ولا يجوز أن يسأل عما لا يعرف أو يعاتب عنه، فيلهى عنه، يترك في قبره حتى تأكل الأرض ما فيه من الأعراض المانعة من فهمه للتكليف، كالرطوبة الموجبة للبلادة المانعة من الفهم، حتى يأتي يوم القيامة وهو كغيره في قوة التعقل، فيجدد له التكليف ويسأل بأن يأمر بدخول النار المسماة بالفلق، فإن أطاع دخل الجنة، وإن عصى دخل النار. نعم، قد يسأل بعض من لم يمحض عما عرف، وما لم يعرف يلهى عنه إلى يوم القيامة، ولا يسأل عن الكل إلا من عقل الكل). [أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ص٦٣ـ٦٤].

الأمر الأول: من يدخل الجنة ولا رجعة له

الذنوب على أنواع!!

فمنها ما يمحص منه الإنسان في دار الدنيا، بمرض، أو بلاء أو غير ذلك، ومنها ما يمحص منه عند قبض الروح، ومنها ما يمحص منه في القبر، وقد يطول البقاء في القبر بسببها.

ومن الذنوب ما يدخل به الإنسان إلى نيران الدنيا، فيعذب حتى يصفى، ثم يغسل فيدخل إلى مقامه في الجنة.

ومن ذلك نفهم..

أن هناك من يدخل الجنة ولكن لا رجعة له مع محمد وآله عليهم السلام.

الأمر الثاني: تأثير الجسم الهورقليائي بعد الموت في عالم الدنيا

من له برزخ في هورقليا، يحيا بالجسم الهورقليائي في عالم البرزخ، ويأتي إلى عالم الدنيا فيشاهد أحواله[1]، ويحيط به زماناً ومكاناً للقانون الذي ذكرناه سابقاً، وهو قانون الإحاطة.

---

(١) يقول السيد كاظم الرشتي: (فإن بالموت لا تفارق الروح عن البدن بالكلية بل هي في بدن عالم المثال، وهو برزخ بين العالمين وجامع بين النشأتين، فهي غير مفارقة للبدن، ومتمكنة من مشاهدة أحوال هذا العالم الجسماني بالوجه الأسفل من البدن المثالي). [رسالة في جواب الشيخ علي بن قرين "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج٢ ص٤٨٠].

وأيضاً.. لا تجري عليه أحكامها ولوازمها، لأنه خلع الكثافة (الجسد العنصري)، وهو الآن بالجسم المجرد عن المادة العنصرية والمدة الزمانية (الجسم الهورقليائي).

فيستطيع قطع المسافات بطرفة عين، والدخول في سم الأبرة، وغير ذلك.. فلا تؤثر فيه الكثافات العنصرية لعالمنا الدنيوي.

ولكن.. هنا سؤال جميل وهو:

هل يستطيع الميت التأثير في الأشياء الكثيفة؟

بمعنى آخر.. هل يستطيع مثلاً تحريك الطاولة، إشعال المصباح..!!

نعم.. يستطيع ذلك[1].

وتتفاوت تلك القدرة عند الأموات بحسب قابلية إيمانهم.

فمنهم من تكون قابليته محدودة فيحلق على السطح عند زيارة أهله ـ أو قبره ـ، ومنهم من يستطيع الولوج إلى داخل الدار ومعاينة الأحوال، ومنهم من يستطيع لقاء من يريد في عالم المنام، ومنهم من يستطيع زيارة أهل بيته وغير ذلك متى شاء.

---

(١) أثبتت بعض التجارب العلمية ذلك في أبحاث تحضير الأموات.. حاول أن تبحث عن هذا الموضوع لو أردت ذلك.

ومنهم من يستطيع التأثير في الأشياء الكثيفة..

وهذا يفسر لنا قدرة المعصومين عليهم السلام في التأثير في الأشياء بعد موتهم ؛ كما يحدث عندما تزار قبورهم فيحصل الشفاء في البدن وغير ذلك.. فليس هناك من يمتلك إيمان أقوى من إيمانهم عليهم السلام.

حسناً..

تبقى لدينا موضوع أخير أود الحديث فيه معك بنهاية هذا الكتاب، وهو مسألة غيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه.

فقد طرحت عليك إشكالاً في بداية حديثنا ؛ فلابد من الإجابة عليه الآن.

فتعال معي لنتحدث عن ذلك..

الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف في غيبته في هورقليا

لقد تحدثنا في الفصل الأول عن مسألتين من المسائل التي حيرت إذهان العلماء في مسألة الموت.. وكانت الثانية منها مسألة غيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

وفي أثناء طرحنا مر هذا الإشكال:

كيف يمكن للإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف البقاء كل هذه المدة من دون أن يجري عليه الموت؟

فنحن وهو نعيش في نفس الطبيعة الزمانية والمكانية؛ فلابد أن يتأثر بهما كما يحصل معنا!!

وفي هذا الموضوع أود الحديث عن رأي الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة الغيبة، وبالتحديد حينما قال أنه عجل الله فرجه الشريف في غيبته في هورقليا[1].

---

(١) تعرض الشيخ أحمد الأحسائي لبعض الانتقادات في المسائل التي قدمها في منهجه، ومنها مسألة إثبات المعاد الجسماني، ومسألة أنهم صلوات الله وسلامه عليهم العلل الأربع.. وهذه المسائلة التي سنتحدث فيها الآن (أن الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف في غيبته في هورقليا).

ولا بأس ببيان مقصده ومراده في هذه المسألة، وإن كان ما جاء هنا مختصراً وليس وافياً لجميع الجوانب فيها، لأننا سنتطرق للمضون العام فقط من دون الإسهاب المطول.

فقد حل بهذا الرأي ذلك الإشكال، وقدم تفسيراً حكمياً واضحاً لمسألة طول بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف[١].

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي ـ حينما سئل عن معنى قوله: إن الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف في غيبته في هورقليا ـ: (أقول: هورقليا في الأقليم الثامن، ومعنى لفظه: ملك آخر، وله مدينتان: مدينة في المغرب جابرسا، وفي المشرق جابلقا، عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع، ويتكلمون بسبعين ألف ألف لغة، كل أهل لغة بخلاف لغة الأخرى، وهم في بلاد منسك وتأويل ونارس، من كل مدينة كل يوم يخرج سبعون ألفاً لا يعودون إلى يوم القيامة، ويدخلها سبعون ألفاً لا يخرجون إلى يوم القيامة، وإن الخارجين والداخلين ليتلاقون بين السماء والأرض، ومن يخرجون من جابلقا يغربون، ومن يخرجون من جابرسا يشرقون، وإن من قام في وقت كمثل نصف الليل لا يسمع فيه حسيساً يسمع لهم دوياً كدوي النحل، والحجة عليه السلام في غيبته تحت هورقليا في تلك الدنيا في قرية يقال لها كرعة في وادي شمروخ، وروي أنه في طيبة، وأن معه ثلاثين بدلاً، وكل هذه القرى من تلك الدنيا، وهو عليه السلام ظاهر لأهلها، وأما إذا أراد أن يدخل في هذه الأقاليم السبعة لبس صورة من صور أهل الأقاليم، ولا يعرفه أحد، ولا تراه عين رؤية معرفة، حتى تراه كل عين.

أما أمر ظهوره عجل الله فرجه الشريف وبيان زمانه ومكانه؛ فاعلم: إن الدنيا هذه قد خاف فيها من الأعداء، فلما فر من هذه المسماة بالدنيا انتقل إلى الأولى، والخلق يسيرون إليها؛ لكنه عليه السلام سريع السير فقطع المسافة في لحظة، والناس يسير إلى الأولى يسير بهم التقدير سير السفينة براكبها في هذا النهر الراكد الذي هو الزمان، وكان طرفا الزمان أوله وآخره لطيفين؛ للطافة الأجسام الواقفة فيهما، ولطافة تلك الأمكنة، ووسط الزمان كثيف ككثافة أجسامه وأمكنته، فإذا وصلوا إليه قام بالأمر وظهر الدين كله. فالأيام ثلاثة، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، فاليوم الأول هو الدنيا، واليوم الثاني هو الأولى، وهو يوم قيامه ورجعته مع آبائه عليهم السلام وشيعتهم، واليوم الثالث يوم القيامة الكبرى، وفي الزيارة الجامعة: «وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى»، فذلك الزمان ألطف، وأهله ألطف، وأمكنتهم ألطف، حتى أنه في آخره يكون لطافة زمانه بقدر لطافة هذا الزمان بسبعين مرة، وهذا معنى ما أردنا من أنه في هورقليا، وأنه في الأقليم الثامن). [الرسالة الرشتية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص١٤٩ـ١٥١].

ودعني أبين لك كيف فسر الشيخ أحمد الأحسائي مسألة طول بقاء الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف من خلال ثلاث نقاط:

الأولى: من أفكار مباني منهجه بشكل عام.

الثانية: مما ذكره في خصوص مسألة بقاءه عجل الله فرجه الشريف في غيبته في هورقليا.

الثالثة: إشكال يرد على رأيه!

النقطة الأولى: الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف علة وليس بمعلوم

في الحقيقة..

إن هذه النقطة ليست من صميم رأي الشيخ أحمد الأحسائي في حل ذات الإشكال الذي نحن بصدده؛ ولكنها مأخوذة من مباني منهجه، ولها أرتباط وثيق بما نحن فيه، فوددت أن أبينها في هذه السطور.

إن لشيخ أحمد الأحسائي رأي حكمي قد أشرت إليه سابقاً في أثناء حديثنا، وهو:

إنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ العلة المادية لجميع الأشياء[1]؛ أي: إنهم الصادر الأول في عالم الوجود المقيد، ومن شعاع أنوارهم خلقت جميع الأشياء.

وحينما نقول جميع الأشياء..

---

(١) انظر/ الرسالة الطاهرية في جواب الملا محمد طاهر "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج١٠ ص٣٧١.

فيدخل تحت هذه العبارة الأفلاك، والسماوات، والشمس، والقمر، والأرض[١].. تلك التي نربط بها الزمان والمكان في أبجديات عالمنا.

وإذا كانت هذه الأشياء مخلوقة من شعاع أنوارهم؛ بمعنى أنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ علتها، وهي معلولات لتلك العلة، كما يعبر عن ذلك فلسفياً.

فالسؤال الهام الذي أريدك أن تفكر فيه الآن هو:

من يؤثر فيمن؟

هل العلة تؤثر في المعلول؟

أم أن المعلول هو من يؤثر في علته؟

---

(١) روى جابر بن عبدالله في تفسير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نوري، ابتدعه من نوره، واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة، ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور علي عليه السلام، فكان نوري محيطاً بالعظمة، ونور علي محيطاً بالقدرة، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفة وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري، ونوري مشتق من نوره. فنحن الأولون، ونحن الآخرون، ونحن المسبحون، ونحن الشافعون، ونحن كلمة الله، ونحن خاصة الله، ونحن أحباء الله، ونحن وجه الله، ونحن جنب الله، ونحن يمين الله، ونحن أمناء الله، ونحن خزنة وحي الله وسدنة غيب الله، ونحن معدن التنزيل، ومعنى التأويل». [بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي: ج٢٥ ص٢٢ ب١/ بدء أرواحهم وطينتهم عليهم السلام وأنهم من نور واحد ح٣٨].

بالطبع.. إن العلة هي من تؤثر في المعلول، فالشمس هي من تؤثر في الأشعة، إذا ظهرت الشمس ظهرت الأشعة، وإذا غابت غابت الأشعة، والنار هي من تؤثر في الدخان، وهكذا؛ وليس للمعلول أي تأثير على علته.. قاعدة فلسفية.

وعلى ذلك.. فهل يؤثر الزمان والمكان (المعلولات) في الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف، أم هو (العلة) من يؤثر فيهما؟

حتماً هو من يؤثر فيهما[1]، ولا تأثير لهما عليه في حقيقة الأمر.

وماذا تعتقد الآن؟

---

(١) عن أبي علي محمد بن همام، عن جعفر بن محمد بن مالك الفزاري، عن محمد بن صدقة، عن محمد بن سنان، عن الفضل بن عمر، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي خالد الكابلي، قال: قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام لما سألناه عن هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾، قال: «إن قنبراً مولى علي عليه السلام أتى منزله يسأل عنه، وخرجت إليه جارية يقال لها فضة، قال قنبر: فقلت لها أين علي بن أبي طالب؟ وكانت جاريته. فقالت: في البروج. قال قنبر: وأنا لا أعرف لأمير المؤمنين عليه السلام بروجاً. فقلت: وما يصنع في البروج؟ قالت: هو في البروج الأعلى يقسم الأرزاق، ويعين الآجال، ويخلق الخلق، ويميت ويحيي ويعزل ويذل. قال قنبر: فقلت والله لأخبرن مولاي أمير المؤمنين بما سمعت من هذه الكافرة. فبينا نحن كذلك إذ طلع أمير المؤمنين عليه السلام وأنا متعجب من مقالتها! فقال لي: يا قنبر ما هذا الكلام الذي جرى بينك وبين فضة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين: إن فضة ذكرت كذا وكذا وقد بقيت متعجباً من قولها! فقال عليه السلام: يا قنبر وأنكرت ذلك؟ قلت: يا مولاي أشد الإنكار. قال: يا قنبر ادن مني، فدنوت منه فتكلم بشيء لم افهمه ثم مسح بيده على عيني، فإذا السماوات وما فيهن بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام كأنها فلكة أو جوزة يلعب بها كيف ما شاء، وقال: والله أني قد رأيت خلقاً كثيراً يقبلون ويدبرون وما علمت أن الله خلق ذلك الخلق كلهم، فقال لي: يا قنبر. قلت: نعم يا أمير المؤمنين. قال: هذا لأولنا يجري لآخرنا، خلقناهم وخلقنا ما فيها وما بينهما وما تحتهما، ثم مسح يده العليا على عيني فغاب عني جميع ما كنت اراه حتى لم ار منه شيئاً، وعدت على ما كنت عليه من رأى البصر». [صحيفة الأبرار ـ المامقاني: ج٢ ص١١٥-١١٦].

إذا كان الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف هو من يؤثر في الزمان والمكان..

فهل بالإمكان أن يبقى كل هذه المدة حياً ولا يجري عليه الموت؟

فكر في الأمر قليلاً..

النقطة الثانية: الطبيعة البشرية اللطيفة للإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

لقد ذكرت لك سابقاً:

أنهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ البرزخ بين الصانع والمصنوع؛ أي: بين الله ـ سبحانه وتعالى ـ وباقي مخلوقاته.

وأن البرزخ هو الواسطة بين الشيئين، وطبيعة أعلاه وأسفله مأخوذة من طبيعة ما يقع بينهما؛ سواء كانت عوالم، أو مخلوقات، أو أشياء.. إلخ.

وعلى ذلك..

فلهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ طبيعتان:

طبيعة قدسية نورانية تمكنهم من تلقي المدد والفيض من الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وطبيعة بشرية تمكنهم من إيصال ذلك الفيض والمدد إلى باقي المخلوقات.

ولكن.. طبيعتهم البشرية ليست كطبيعتنا!!

فنحن تأثر فينا الأشياء للكثافة الموجودة في بشريتنا، فيظهر لنا ضل الشمس مثلاً؛ أما طبيعتهم فمن ذاتها في أعلى مراتب اللطافة، فلا يوجد لهم أي ضل في النهار[1].

وقلنا إن عالم الملك السفلي له طبيعة لطيفة في أعلاه في باطنه، وطبيعة كثيفة في أسفله في ظاهره.. ولكل طبيعة خصوصيات تختلف عن الأخرى، يتمتع بها سكانها، وجميع الأشياء الموجودة فيها.

وإذا كانت طبيعة بشرية الإمام الحجة المنتظر ﷺ لطيفة؛ فأي الخصوصيات ستكون له؟

خصوصيات الطبيعة اللطيفة.. أليس كذلك؟

ومن خصوصيات هذه الطبيعة طول الأعمار، كما هو الأمر مع المخلوقات الأولى التي عاشت على الأرض، وأولئك الذين صفت

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (فإن قلت: إن لهم أجساماً عنصرية وصوراً بشرية يشاركون غيرهم فيها، فكيف لا تعوقهم؟ قلنا: إن شاؤوا عاقتهم وهو أيضاً معجز، وإن شاؤوا عملوا بمقتضى حقائق ذواتهم؛ لأن بشريتهم وعنصريتهم مع أنها ألطف من بشرية غيرهم وعنصريته بمراتب كثيرة إذا نسبتها إلى نوريتهم وتجرد نفوسهم؛ كنسبة الذرة إلى السماوات والأرض، أعظم من ذلك، ولا شك أن ما هو بمنزلة الذرة لا يعوق ما هو أعظم من السماوات والأرض، ولهذا إذا وقف النبي ﷺ في الشمس لا يبين له ظل مع بشريته وثيابه). [الرسالة الرشتية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص١٥٤ـ١٥٥].

أجسامهم بالطاعة فنتقلوا من خصوصيات الكثافة إلى خصوصيات اللطافة؛ كرجال الغيب، وبعض الكمل من الناس، وغيرهم.

إذا فهمت هذا الأمر..

فسوف تدرك معنى قول الشيخ أحمد الأحسائي أن الإمام الحجة المنتظر ﷺ في غيبته في هورقليا!

فقد استخدم مصطلح "هورقليا" للتعبير عن الطبيعة اللطيفة لعالم الدنيا (عالم الملك السفلي)[١]، وهو يختلف تماماً عن مصطلح "هورقليا" (عالم الملك العلوي) الذي معناه عالم البرزخ، أو عالم المثال الذي تأوي إليه الأرواح بعد الموت[٢].

فبعضهم حينما غابت عنه هذه النقطة في مباني منهجه، ومر على نصوصه التي يقول فيها بأنه ﷺ في غيبته في عالم هورقليا، أعتقد بأنه يقول بموته، وانقطاع صلته بهذا العالم!!

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (وهورقليا وإن كانت في الدنيا، لأن اللطافة والكثافة في الزمان والمكان إنما هما بلطافة الأجسام وكثافتها). [الرسالة القطيفية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص٣٨٣].

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي: (وأما هورقليا فله فيه اصطلاحان: مرة يطلق ويريد به عالم المثال، وهو عالم البرزخ الذي تأوي إليه الأرواح بعد الموت. ومرة يطلق ويريد به صفو عالم الأجسام الثابت الباقي الغير المتغير تغير سائر الأعراض والأوساخ). [رسالة في الرد على بعض المعترضين على آراء أستاذه في مسألة المعاد والعلم "جواهر الحكم" ـ السيد كاظم الرشتي: ج٩ ص٥٢٤].

وهذا ليس بصحيح..

فإنك حينما تتأمل كلماته جيداً ستجد أنه يستخدم مصطلح هورقليا في أكثر من معنى في نصوصه، فإن يطلقه.. ويريد به مرة:

١ـ مطلق عالم البرزخ.

٢ـ أفلاك وسماء عالم البرزخ التي خلق من عناصرها الجسم الهورقليائي.

٣ـ أرض عالم البرزخ التي خلق من عناصرها الجسد الأصلي.

٤ـ الجزء اللطيف من عالم الدنياء (الموجود فيه الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف في غيبته).

حسناً..

ما رأيك بهذا الكلام؟

حتماً لقد استطاع الشيخ أحمد الأحسائي حل إشكال طول بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف من دون أن يجري عليه الموت.

ولكن.. هناك إشكال آخر يأتي على حله هذا!!

فما هو؟

النقطة الثالثة: إشكال على الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة الغيبة

من المؤكد أن الشيخ أحمد الأحسائي قد استطاع حل أمر طول بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه في غيبته.

ولكن.. يرد هنا إشكال ـ على رأيه ـ مفاده:

إذا كنا نعيش في طبيعة كثيفة ونتمتع بخصوصياتها، وهو عجل الله فرجه يعيش في طبيعة لطيفة ويتمتع بخصوصياته؛ فهل هذا يعني عدم إمكان اللقاء به؛ لاختلاف الطبيعتين؟

وجوابه:

الشيخ أحمد الأحسائي ليس من القائلين بعدم إمكان اللقاء بالإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه.. فهو يرى إمكان اللقاء به ولكن لا يعرف[1] إلا لأصحابه من رجال الغيب الذين يلتقون به ويأخذون الأوامر منه.

---

(١) يقول الشيخ أحمد الأحسائي: (لأنه في هذا العالم الذي نحن فيه ويمشي في الأرض ولكن لا يعرف). [رسالة في العصمة والرجعة "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٤ ص١٧٤].

ويقول: (وأما إذا أراد أن يدخل في هذه الأقاليم السبعة لبس صورة من صور أهل الأقاليم، ولا يعرفه أحد، ولا تراه عين رؤية معرفة، حتى تراه كل عين). [الرسالة الرشتية "تراث الشيخ الأوحد" ـ الشيخ أحمد الأحسائي: ج٩ ص١٤٩ـ١٥١].

وكيف يمكن لقائه وهناك اختلاف بين الطبيعتين؟

هنا لابد أن تسأل نفسك هذا السؤال:

من يريد لقاء من؟

فإذا كان الإمام الحجة المنتظر ﷺ يريد لقاء أحدهم، فهنا حالتان:

الأولى: إما أن ينزل ﷺ إلى مقام رتبة السافل عنه.

الثانية: أو يمده بالمدد فيرفعه إلى مقام رتبته؛ كما يحدث في خطابهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ للجمادات والحيوانات.

كفعلهم ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ إذا أرادوا الحديث مع الحيوانات ـ مثلاً ـ؛ فإنهم إما أن ينزلوا إلى مقام رتبتهم فيتحدثون معهم بلغتهم، وإما أن يمدوهم فيرفعوهم، وينطق ذلك الحيوان بلسانهم العربي الفصيح.

أما إذا كنت أنت من يريد لقاء الإمام ﷺ؛ فهنا لابد أن ترفع نفسك إلى مقامه، وذلك من خلال تخليص النفس من الأكدار والأغيار والكثافات الدنيوية؛ حتى تصل إلى اللطافة التي تؤهلك لذلك اللقاء.

ودعني أصور لك الأمر في هذه النقطة بهذا المثال:

لو أراد ملك لقائك.. فهنا حالتان:

إما أن يرفعك إلى مقامه فيدعوك إلى قصره، وإما أن يتواضع لك فينزل إلى مقامك؛ أي: يأتي لزيارتك في بيتك.

وأما إذا أردت أنت لقاء ذلك الملك، فهنا لابد أن تهيئ مكانك ليكون ملائماً لاستقباله.. والأمر هو هكذا مع اللقاء به ﷺ.

وأخيراً.. عزيزي القارئ

لقد كان من الممتع قضاء الحوار معك في موضوع هذا الكتاب، وأتمنى أن أكون قد أوصلت إليك مضامينه، فلم أدخر جهداً أو وقتاً في سبيل تذليل صعوبة المصطلحات وفك العبارات.. واسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يختم عاقبتنا بحسن المنقلب، وأن نكون من المنعيم لا من المعذبين، ومن الراجعين لا من المتخلفين عن نصرة وليه ﷺ.

الشيخ إبراهيم القديم

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها ـ د. يحيى مراد: بيروت ـ دارا لكتب العلمية، (٢٠٠٤م).

٣ـ أحوال البرزخ والآخرة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: دار المحجة البيضاء، الطبعة الرابعة (١٤٣٠هـ).

٤ـ أعلام هجر من الماضين والمعاصرين ـ السيد هاشم الشخص: قم ـ مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، الطبعة الثانية (١٤١٦هـ).

٥ـ أعيان الشيعة ـ السيد محسن الأمين العاملي: بيروت ـ دار التعارف.

٦ـ إجازات الشيخ أحمد الأحسائي ـ تحقيق/ الدكتور حسين محفوظ: بغداد (١٣٧٦هـ).

٧ـ آخر الفلاسفة ـ الدكتور حسن محمد الشيخ: بيروت ـ مؤسسة الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٨ ـ الإرشاد ـ للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد النعمان العكبري البغدادي الشهير بـ(المفيد): قم المقدسة ـ المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ).

٩ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ـ الشيخ محمد باقر المجلسي: بيروت ـ دار إحياء التراث، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).

١٠ـ تراث الشيخ الأوحد ـ الشيخ أحمد الأحسائي ـ تقديم/ الشيخ توفيق البوعلي: مؤسسة الإحقاقي ـ الأميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

١١ـ التحقيق في مدرسة الشيخ الأوحد ـ آية الله المعظم الميرزا عبدالرسول الحائري الإحقاقي.

١٢ـ جواهر التاريخ ـ الشيخ علي الكوراني العاملي: دار الهدى، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ).

١٣ـ جواهر الحكم ـ السيد كاظم الرشتي: العراق ـ شركة الغدير، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

١٤ـ الحكمة المتعالية عند صدر المتألهين ـ د. علي الحاج حسن: دار الهادي، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

١٥ـ الدين بين السائل والمجيب ـ الميرزا حسن الإحقاقي: الكويت ـ منشورات مكتبة الإمام الصادق عليه السلام (١٩٩٢م).

١٦ـ الذريعة في تصانيف الشيعة ـ آغا بزرك الطهراني: بيروت ـ دار الأضواء، الطبعة الثالثة (١٤٠٣هـ).

١٧ـ رسائل الحكمة ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت ـ الدار العالمية، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

١٨ـ روضات الجنات ـ الميرزا محمد باقر الخوانساري: إيران (١٣٠٦هـ).

١٩ـ سيرة الشيخ أحمد الأحسائي ـ تحقيق/ د. حسين محفوظ: بغداد ـ دار المعارف (١٩٥٧م).

٢٠ـ الرسالة الوعائية ـ الشيخ أحمد الأحسائي: الدار البيضاء، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٢١ـ شرح المشاعر ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت ـ مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ).

٢٢ـ شرح الزيارة الجامعة ـ الشيخ أحمد الأحسائي: تقديم/ الشيخ توفيق البوعلي: مؤسسة الإحقاقي ـ الأميرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى (١٤٣٢هـ).

٢٣ـ شرح العرشية ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٢٤ـ شرح الفوائد ـ الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي: بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ).

٢٥ـ الشيخية ـ محمد حسن آل الطالقاني: بيروت، (١٤٢٠هـ).

٢٦ـ صحيفة الأبرار ـ الميرزا محمد تقي المامقاني: بيروت ـ مؤسسة الأعلمي، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٢٧ـ الغيبة ـ الشيخ الطوسي: قم ـ مؤسسة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى (١٤١١هـ).

٢٨ـ فهرست تصانيف الشيخ الأوحد ـ رياض طاهر: مكتبة الحائري.

٢٩ـ فهرست تصانيف الشيخ أحمد الأحسائي ـ أبو القاسم الإبراهيمي: كرمان (١٣٦٧هـ).

٣٠ـ الكافي ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني: بيروت ـ دار الأضواء (١٤٠٥هـ).

٣١ ـ مرآة الكتب ـ علي بن موسى بن محمد شفيع التبريزي: قم ـ مكتبة آية الله العظمة المرعشي، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ).

٣٢ـ وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ـ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي: قم المقدسة ـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ).

الفهرس

الإهداء ٥
مقدمة الدكتور حسن الشيخ ٧
مقدمة المؤلف ١٣

الفصل الأول: مسائل محيرة في الموت ١٩
المسائلة الأولى: عملية الموت: هل هي انتقال من دار إلى دار أم أنها عدم وفناء؟ ٢٥
الرأي الأول: عملية الموت انتقال من دار إلى دار..... ٢٨
الرأي الثاني: عملية الموت عدم وفناء ٣٠
الحجة العقلية: عملية الموت انتقال من دار إلى دار..... ٣٣
الحجة العقلية: عملية الموت عدم وفناء ٣٦
رأي المفكرين والمثقفين في مسألة عملية الموت ٤٠
المسألة الثانية: غيبة الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه ٤٥
الإجابة الأولى: طول أعمار الأنبياء عليهم السلام ٤٨
الإجابة الثانية: بقاءه عجل الله فرجه طول هذه المدة معجزة ٥١

رأي الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة عملية الموت ومسألة بقاء الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف ٥٣

الفصل الثاني: شخصية الشيخ أحمد الأحسائي ٥٧

اسمه ونسبه ٦٣

سيرته العلمية ٦٥

الجانب الأول: إجازاته ٦٥

الجانب الثاني: تلاميذه ٧٥

الجانب الثالث: مصنفاته ٧٩

الجانب الرابع: وفاته ٨١

الفصل الثالث: عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي..... ٨٣

الوجودات الثلاثة عند الشيخ أحمد الأحسائي..... ٨٩

الشيء الأول: الصانع (الله سبحانه وتعالى) ١٠١

الشيء الثاني: الصنع (فعله سبحانه وتعالى) ١٠٥

الشيء الثالث: المصنوع (ما سوى الله سبحانه وتعالى) ١٠٦

العوالم الإلهية في قوس النزول وقوس الصعود في دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي ١٠٩

دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي ١٢٧
صورة الشيخ أحمد الأحسائي لدائرة الوجود المقيد ١٣٠
الصورة المعدلة لدائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي .. ١٣١
جدول قوس النزول وقوس الصعود في دائرة الوجود المقيد عند الشيخ أحمد الأحسائي ١٣٨
طبيعة عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي ١٤٥
الفصل الرابع: الانتقال إلى عالم هورقليا عند الشيخ أحمد الأحسائي ١٥٩
كيفية انتقال وبقاء الأرواح في عالم هورقليا ١٦٥
الطريق الأول للانتقال إلى عالم هورقليا (الرؤى) ١٧٩
الطريق الثاني للانتقال إلى عالم هورقليا (تصفية النفس) ١٩١
الطريق الثالث للانتقال إلى عالم هورقليا (الموت) ١٩٧
الأمر الأول: إذا حانت ساعة الأجل ١٩٩
الأمر الثاني: ساعة الاحتضار ٢٠٥
الأمر الثالث: في القبر ٢١٢

الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه في غيبته في هورقليا ٢١٩
النقطة الأولى: الإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه علة وليس بمعلول ٢٢٢
النقطة الثانية: الطبيعة البشرية اللطيفة للإمام الحجة المنتظر عجل الله فرجه ٢٢٦
النقطة الثالثة: إشكال على الشيخ أحمد الأحسائي في مسألة الغيبة. ٢٣٠

المصادر والمراجع ٢٣٣
الفهرس ٢٤١